قصـــة الخلـــق

بكر محمد إبراهيم

الناشر

مركز الراية للنشر والاعلام

اسم الكتاب : قصة الخلق

بقلـــم : بكر محمد إبراهيم

الطبعة : الأولى ٢٠٠٥

الناشر : مركز الراية للنشر والإعلام

فكرة الكتاب : للناشر أحمد فكرى .

الاشراف والمتابعة : كريم أحمد فكرى .

رقم الإيداع : 4967/2005

الترقيم الدولى : 977.354.095.2

مقدمة

الحمد لله رب العالمين خالق السموات والأرضين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أشهد أن لا إله إلا الله الأولين والآخرين وأشهد أن سيدنا محمداً رسول رب العالمين وخاتم النبيين .

وبعـــــد ،،

فهذا الكتاب يحوى أخبار ما كان فى بدء الخلق ويتحدث عن أول المخلوقات الماء والعرش والكرسى والقلم ثم أخبار خلق السموات والأرض وكل ما ورد من أخبار قد سقت الدليل عليها من القرآن الكريم والسنة المطهرة وقمت بالشرح والتعليق على بعض الأحاديث من الناحية الشرعية والعلمية والحديثية والتفسير وربطت بين القديم والحديث فى الشرح والتفسير.

وتعرضت لذكر الكواكب والنجوم كما تحدث عنها العرب القدماء بالتفصيل وتحدثت عن خلق البحار والأنهار وأشهر الأنهار وعجائب هذه البحار والأنهار فها كتاب موسوعى يخبر عن تاريخ بدء الخلق ونشأة الكون

أسأل الله تعالى أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه الكريم والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

بكر محمد إبراهيم



ما كان فى بدء المخلوقات

خلق القلم

روى الإمام أحمد فى مسنده عن عامر العقيلى قال : قلت : يا رسول الله ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال : كان فى غمام ما فوقه هواء وما تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء .

وروى الترمذى عن عبادة بن الصامت -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ إن أول شئ خلقه الله تعالى القلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ثم خلق اللوح بعده وهو من درة بيضاء صفائحها من الياقوت الأحمر وطوله ما بين السماء والأرض وعرضه من المشرق إلى المغرب .

وعن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ إن لله لوحاً من ياقوته حمراء والوجه الآخر من زمردة خضراء وأقلامه من نور .

قال ابن عباس -رضى الله عن- خلق الله تعالى القلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش ثم نظر إليه نظر الهيبة فانشق وخط المداد .

قال ابن عباس أن القلم مشقوق ينبع منه المداد إلى يوم القيامة ، ثم قال الله يا قلم اكتب فقال القلم يارب وما أكتب ، قال أكتب علمى فى خلقى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وأخرج ابن أبى حاتم أن أول ما كتب القلم إن رحمتى سبقت غضبى .

قال ابن عباس -رضى الله عنهما- : إن القلم جرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة وما قدر من خير وشر وسعادة وشقاء وهو قوله تعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)﴾ [يس] أى فى اللوح المحفوظ.

خلق العرش والكرسى(١)

قال الله تعالى :

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ [غافر]

وقال تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾[المؤمنون]

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [البروج]

وقال تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[طـه]

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد]

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾[غافر]

---

(١) انظر بدائع الزهور والبداية والنهاية ج١ ص٥ وما بعدها لابن كثير.

وفى الدعاء المروى فى الصحيح فى دعاء الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش الكريم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم».

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرازق حدثنا يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد حدثنى سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن عباس بن عبد المطلب قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء فمرت سحابة .

فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما هذا قال قلنا السحاب قال والمزن . قال : قلنا والمزن ، قال : والعنان . قال : فسكتنا فقال هل تدرون كم بين السماء والأرض قال قلنا الله ورسوله أعلم .

قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، كثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله فوق ذلك وليس يخفى عليه من أعمال بنى آدم شئ.

هذا لفظ الإمام أحمد. ورواه أبو داود وابن ماجة والترمذى من حديث سماك باسناده نحوه. وقال الترمذى هذا حديث حسن . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ووقفه ولفظ أبى داود .

وهل تدرون بعد ما بين السماء والأرض ، قالوا لا ندرى . قال : «بعد ما بينهما إما واحد أو اثنين أو ثلاثة وسبعون سنة ، والباقى نحوه .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار. وأحمد بن سعيد الرباطى قالوا حدثنا وهب بن جرير . قال أحمد كتبناه من نسخته وهذا لفظه. قال حدثنا أبى قال: سمعت محمد بن اسحاق يحدث عن يعقوب بن عقبة عن جبير بن محمد بن مطعم عن أبيه عن جده .

قال أتى رسول الله ﷺ اعرابى فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجاعت العيال. ونهكت الأموال وهلكت الأنعام. فاستسق الله لنا فإنا نستشفع على الله ونستشفع بالله عليك .

قال رسول الله ﷺ وربك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله إن عرشه على سمواته لهكذا . وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب.

قال ابن بشار فى حديثه : إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته وساق الحديث. وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عقبة وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده ، قال أبو داود الحديث باسناد أحمد بن سعيد وهو صحيح .

وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلى بن المكونيى ورواه جماعة منهم عن بن اسحاق كما قال أحمد أيضاً ، وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وبن بشار فى نسخه واحدة . تفرد باخراجه أبو داود .

وثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة وفوقه عرش

الرحمن، وقد جاء فى بعض الآثار أن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش وهو تسبيحه وتعظيمه وما ذاك إلا لقربهم منه . وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ . وذكر الحافظ بن الحافظ محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش عن بعض السلف أن العرش مخلوق من ياقوته حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة .

قال تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴿٤﴾ ﴾[المعارج]

فبُعد ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة واتساعه خمسون ألف سنة .

وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير. وهذا ليس بجيد لأنه ثبت فى الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة. والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل .

وأيضاً فإنه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد بينه وبين الكرسى ليس هو نسبة فلك إلى فلك ، وأيضاً فإن العرش فى اللغة عبارة عن السرير الذى للملك كما قال تعالى :

﴿ ... وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل]

وليس هو فلكا ولا تفهم منه العرب ذلك . والقرآن إنما أنزل بلغة

العرب فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ ﴾[غافر]

وهم ثمانية كما ورد فى حديث الأوعال وفوق ظهورهم العرش ، قال تعالى :

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ۝١٧ ﴾[الحاقة]

قال أبو داود حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله أبى حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام .

الكرسى

روى الحاكم عن ابن عباس فى مستدركه، قال إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه من طريق سفيان الثورى عن عمار المدنى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : الكرسى موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل .

وروى ابن جرير عن أبى موسى الأشعرى والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير ومسلم البطين وقال السدى عن أبى مالك «الكرسى تحت العرش» وقال : «السدى السموات والأرض فى جوف الكرسى والكرسى بين يدى العرش» .

وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال : «لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهم إلى بعض ما كان فى سعة الكرسى إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة (الأرض الوعرة) .

وقال ابن جرير حدثنى يونس حدثنا ابن وهب قال : قال ابن زيد حدثنى أبى قال : قال رسول الله ﷺ : «ما السموات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس قال: وقال أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ: يقول : ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض أول الحديث مرسل . وعن أبى ذر منقطع .

وقد روى عنهم طريق أخرى موصولاً فقال الحافظ أبو بكر بن مردوية فى تفسيره أخبرنا سليمان بن أحمد الطبرانى أنبأنا عبد الله ابن

وهيب المغربى أنبأنا محمد بن أبى سرى العسقلانى أنبأنا محمد بن عبد الله التميمى عن القاسم بن محمد الثقفى عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسى فقال : والذى نفسى بيده ما السموات والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة :

وقال ابن جرير فى تاريخه حدثنا ابن وكيع قال حدثنا أبى عن سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء على أى شئ كان الماء.

قال على متن الريح قال والسموات والأرضون وكل ما فيهن من شئ تحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل فيما قيل الكرسى.

وروى عن وهب بن منبه نحوه ، وفسر وهب الهيكل فقال شئ من أطراف السموات يُحدقِ (يحيط) بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط.

الشرح :

قوله : على شرط الشيخين أى أن رواة الحديث من رجال البخارى ومسلم . وقوله ولم يخرجاه أى لم يروه البخارى ولا مسلم.

وقوله مرسل أى سقط منه الصحابى ومنقطع سقط منه الصحابى والتابعى والمرسل والمنقطع من درجات الضعيف قوله وله طرق أخرى : تعدد الطرق يقوى الحديث ومعناه تعدد سلاسل السند عن الصحابى راوى الحديث .

الحديث الموقوف هو الحديث الذى يصل بسنده إلى صحابى.

الحديث المرفوع : أى هو المرفوع إلى النبى ﷺ أى وصل بسنده إلى النبى ﷺ.

والحديث الوقوف له حكم الرفع أى ينسب إلى النبى ﷺ بشروط :

١- أن يكون الحديث مما لامجال فيه للرأى كالحديث عن الأمور الغيبية.

٢- أن يكون راوى الحديث من علماء الصحابة .

٣- أن يكون راوى الحديث غير مكثر من رواية الإسرائيليات (أى الصحابى). وهنا يكون الصحابى قد سمعه من الرسول ﷺ ورواه بالمعنى أى بلفظ وهو أما الحديث الموقوف الذى لم يتفق فيه شروط الرفع فيكون الصحابى قد قال من رأيه أو فهمه أو من الإسرائيليات وقد يكون الحديث الموقوف مروى عن فعل الصحابى.

والموقوف فى اللغة اسم مفعول من الوقف : أى المنسوب والمحبوس واصطلاحاً : هو المروى عن الصحابة قولاً لهم أو فعلاً أو نحوه متصلاً كان أو منقطعاً ويستعمل فى غيرهم كالتابعين مثلاً فيقال : وقفه فلان على الزهرى ونحوه .

وهو أنواع : الموقوف القولى : ومثاله: قول على بن أبى طالب -رضى الله عنه- حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله. والموقوف الفعلى : ومثاله : قول البخارى : وأمَّ ابن عباس -رضى الله عنه- وهو متجه. والموقوف التقريرى : ومثاله : قول بعض التابعين مثلاً : فعلت كذا أمام الصحابة ، ولم ينكر علىَّ.

خلق السموات والأرض

قال تعالى :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ① ﴾[الأنعام]

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ⑦ ﴾[هود]

فى غير آية من القرآن وقد اختلف المفسرون فى مقدار هذه الستة الأيام على قولين، فالجمهور يرى أنها كأيامنا هذ ، وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب الأخبار : إن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . رواهن ابن جرير، وابن أبى حاتم . واختار هذا القول الإمام أحمد بن حنبل فى كتابه الذى رد فيه على الجهمية ، وابن جرير وطائفة من المتأخرين ، وروى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم ، وغيره أن أسماء الأيام الستة ، أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت .

وحكى ابن جرير فى أول الأيام الثلاثة أقوال ، فروى عن محمد بن اسحاق أنه قال : يقول أهل التوراة ابتدأ الله الخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الإنجيل : ابتدأ الله الخلق يوم الاثنين . ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ ابتدأ الخلق يوم السبت . وهذا القول الذى حكاه ابن اسحاق عن المسلمين مال إليه طائفة من الفقهاء الشافعية ، وغيرهم .

وكان آخر خلق السموات والأرض يوم الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم فى الأسبوع وهو اليوم الذى أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا.

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾[البقرة]

كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾[فصلت]

فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء، لأنها كالأساس للبناء كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) ﴾[غافر]

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) ﴾ [النبأ]

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠) ﴾ [الأنبياء]

أى فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون ، والأنهار وانتعش الحيوان .

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) ﴾ [الأنبياء]

أى عما خلق فيها من الكواكب الثوابت، والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات، وما فى ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات .

كما قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾[يوسف]

فأما قوله تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٣) ﴾ [النازعات]

فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض، فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية الكريمة فإن مقتضى هذه الآية وهي الأرض وإخراج الماء والمرعى فيها بالفعل بعد خلق

السماء، وقد كان ذلك مقدراً فيها كما قال تعالى :

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ﴾ [فصلت]

أى هيئا أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار ثم لما اكمل خلق صورة العالم السفلى والعلوى وهى الأرض فأخرج منها ما كان مودعاً فيها فخرجت العيون وجرت الأنهار، ونبت الزرع والثمار ولهذا فسر الوحى بإخراج الماء والمرعى فيها وإرساء الجبال .

فقال الله تعالى : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) ﴾ [النازعات]

وقوله تعالى : ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) ﴾ [النازعات] أى قررها فى أماكنها التى وضعها فيها وثبتها وأكبرها وأخبرها.

وقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) ﴾ [الذاريات]

بأيد أى بقوة . وأنا لموسعون . وذلك أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التى تحتها فهى أوسع منها ، ولهذا كان الكرسى أعلي من السموات ، وهو أوسع منهن كلهن والعرش أعظم من ذلك كله بكثير ، وقوله بعد هذا (والأرض فرشناها) أى بسطناها وجعلناها مداً أى قارة ساكنة غير مضطربة ولا مائدة بكم ولهذا قال (فنعم الماهدون ، والواو لا تقتضى التريب فى الوقوع . وإنما تقتضى الأخبار المطلق فى اللغة.

قلت : قوله مددناها ثبت فى علم الفلك أن الأرض كروية وهذا المد لا يتوافر إلا فى الشكل الهندسى الذى هو على صورة كرة فكلما سار الإنسان فى الأرض وجدها ممدودة بلا انقطاع وهذا لا يتوافر إلا فى الشكل الكروى لأن أى شكل هندسى أخر لابد أن يكون له حافة سواء كان مربعاً أو مستطيلا أو مثلثاً أو غيره من الأشكال .

وقوله عن السماء وأنا لموسعون وتفسير ابن كثير لها بأن سماء أكبر من التى تحتها هذا حق وقد جاء فى التذكرة للقرطبى أن سكان السماء الثانية – عشرة أمثال سكان السماء الأولى وسكان السماء الثالثة عشرة أضعاف سكان السماء الثانية وهكذا .

وقد جاء فى العلم الحديث أن المجموعة الشمسية تقع ضمن ما يعرف بمجرة درب التبانة وأن المجرة تحوى حوالى مليار مجموعة شمسية وأن الكون يحوى حوالى مليار مجرة وأن التلسكوبات العملاقة رصدت نجوماً على مسافة سبع عشرة مليار سنة ضوئية مع العلم بأن الثانية الضوئية تساوى سير الضوء فى مسافة ٢٨٠ر٠٠٠ كيلو متر[١] .

قال البخارى حدثنا عمر بن جعفر بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال : دخلت على النبى ﷺ وعلقت ناقتى بالباب فأتاه ناس من بنى تميم فقال أقبلوا البشرى يابنى تميم قالوا قد بشرتنا اعطنا مرتين .

ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا جئناك نسألك عن هذا

(١) والصحيح أن المسافة بين كل سماء والتى تليها ٥٠٠ سنة وكل سماء ٥٠٠ سنة كما جاء فى الأحاديث الصحيحة التى رواها الإمام أحمد ومرت سابقاً.

الأمر قال كان الله ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ وخلق السموات والأرض.

فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت فإذا هي تقطع دونها السراب (ما يرى نصف النهار كأنه ماء) فوالله لوددت أنى كنت تركتها هكذا رواه هاهنا وقد رواه فى كتاب المغتزي وكتاب التوحيد وفى بعض ألفاظه ثم خلق السموات والأرض ، وهو لفظ النسائى أيضاً .

وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنى ابن جريح أخبرنى إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال : أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة أخر خلق خلق فى أخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل.

وهكذا رواه مسلم عن جريج بن يونس وهارون بن عبد الله النسائى عن هارون ويوسف بن سعيد ثلاثتهم عن حجاج بن محمد المصيصى الأعور عن ابن محمد بن الصباح عن أبى عبيدة الحداد عن الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رياح عن أبى هريرة .

أن رسول الله ﷺ : أخذ بيدى فقال يا أبا هريرة إن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع وخلق التربة يوم السبت .

روى إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى خبر ذكره عن أبى مالك ، وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمزانى عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩) ﴾ [البقرة]

قال إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين (الأحد والاثنين) وخلق الأرض على حوت وهو النون الذى قال الله تعالى :

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) ﴾ [القلم]

والحوت فى الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة فى الريح ، وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى السماء ولا فى الأرض فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرت وخلق الله يوم الثلاثاء والجبال وما فيهن من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب وفتق السماء وكانت رتقا ففتقها سبع سموات فى يومى الخميس والجمعة .

وإنما سمى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض وأوحى فى كل سماء أمرها . ثم قال خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره.

ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً ويحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش. هذا الإسناد يذكر به السدى أشياء كثيرة فيها غرابة وكان منها ما هو متلقى من الإسرائيليات .

الشرح :

قلت : إن الأحاديث المتلقاه من الإسرائيليات إذا لم تكن موافقة تماماً لشرعنا فهو يحتمل الصدق والكذب .

وقد قال العلماء الفلك أن الأرض شبيهة بالكرة منبعجة من أحد طرفيها تدور حول نفسها كل أربع وعشرين ساعة مرة وتدور فى الوقت نفسه حول الشمس كل ١/٤ ٣٦٥ يوم دورة وهى تدور فى سرعة هائلة[(١)].

أما عن الجبال قال تعالى وألقينا فيها رواسى وقال والجبال أرساها . فقد ثبت علمياً أن الجبال تحفظ توازن الأرض فى دورانها وأنها تثبت القشرة الأرضية وأنها تثبت الغلاف الهوائى المحيط بالأرض فلا ينفلت ويهرب فى الفضاء لأن الجبال تزيد من قوة الجاذبية الأرضية بما يسمح لها بالاحتفاظ بالغلاف الهوائى .

كما أن الجبال مخازن للقوت يتكون الغرين من سقوط الأمطار عليها وتحوى الكثير من الحفريات والمعادن فهذه بعض فوائد الجبال التى تثبت حقائقها بواسطة العلم الحديث فتبارك الله أحسن الخالقين ولله الحمد والمنة.

---

(١) الاستاذ/ عيد وردانى فى كتابه قصة الخلق من العرش إلى الفرش يقول إن الأرض لا تدور وأن الآيات التى جاء فيها ذكر تحرك الأرض إنما تعنى أن ذلك يكون فى الآخرة وله أدلة يستند عليها فراجع هذا الكتاب.

الأرض سبع أرضين

قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾[الطلاق]

قال البخارى حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أنه خاصمته أروى فى حق زعمت أنه انتقصه لها إلى مروان فقال سعيد -رضى الله عنه- : إنا انتفض من حقها شيئا ؟ أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين .

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا عبد الله ابن لهيعة حدثنا عبد الله ابن أبى جعفر عن أبى عبد الرحمن عن ابن مسعود قال: قلت يا رسول الله أى الظلم أعظم قال : ذراع من الأرض ينتقصه المرء المسلم من حق أخيه فليس حصاة من الأرض يأخذها أحد إلا طوقها يوم القيامة إلى مقر الأرض، ولا يعلم مقرها إلا الذى خلقها، تفرد به أحمد وهذا اسناد لا بأس به .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عفان حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوقه من سبع أرضين تفرد به . من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

والأحاديث فى هذا الأمر شبه متواترة فى اثبات سبع أرضين والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى، والتى تحتها فى وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهى الأمر إلى السابعة وهى صماء لا جوف لها، وفى وسطها المركز وهى نقطة مقدرة متوهمة . وهو محط الأثقال إليه ينتهى ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع . واختلفوا هل هن متراكمات بلا تفاصيل أو بين كل واحدة والتى تليها خلاء .

والظاهر أن بين كل واحدة وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى

﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ الآية.

وذكر أصحاب الهيئة أعداد جبال الأرض وسائر بقاعها شرقاً وغرباً . وذكروا أطوالها وبعد مقدارها .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) ﴾[فاطر]

قال ابن عباس وغير واحد الجدد الطرائق وقال عكرمة وغيره الغرابيب الجبال الطوال السود. وقد ذكر الله تعالى فى كتابه الجودى على التعيين وهو جبل عظيم شرقى جزيرة ابن عمر إلى جانب دجله عند الموصل امتداده من الجنوب إلى الشمال مسيرة ثلاثة أيام وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو أخضر لأن فيه شجراً من البلوط وإلى جانبه قرية يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذى نجوا فى السفينة مع نوح عليه السلام.

المجرة وقوس قزح

قال أبو القاسم الطبرانى حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا عارم أبو النعمان حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب إلى معاوية وقال إن كان بقى فيهم شئ من النبوة فسيخبرنى عما أسألهم عنه . قال فكتب إليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن بقعة لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة .

قال فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال إن هذا الشئ ما كنت آبة له أن أسأل عنه إلى يومى هذا ومن لهذا ؟ قيل ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به إلى ابن عباس فكتب إليه أن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق والمجرة باب السماء الذى تنشق منه الأرض .

وأما البقعة التى لم تصبها الشمس إلا ساعة من النهار فالبحر الذى أفرج عن بنى إسرائيل وهذا اسناد صحيح إلى ابن عباس -رضى الله عنه-.

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٢) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) ﴾ [الرعد]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ

الـــرِّيَاحِ والـــسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ الـــسَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾[البقرة]

وروى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بنى غفار قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك .

وروى موسى بن عبيدة بن سعد بن إبراهيم أنه قال إن نطقه الرعد وضحكه البرق. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام عن عبيد الله الرازى عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه إنسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فإذا مصع بذنبه فذاك البرق .

قوله مصع بذنبه أى حرك ذيله وضرب به .

وقد روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى والبخارى فى كتاب الأدب المفرد والحاكم فى مستدركه من حديث الحجاج بن أرطأة حدثنى ابن مطر عن سالم عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك.

وروى أبى جرير من حديث ليث عن رجل عن أبى هريرة رفعه كان إذا سمع الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وعن على أنه كان يقول: سبحان من سبحت له، وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطاووس وغيرهم .

وروى مالك عن عبد الله ابن عمرانه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة عن خيفته ويقول : إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض.

وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ربكم لو أن عبيدى أطاعونى لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما أسمعتهم صوت الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكراً .

الشرح :

قلت : يقول العلم الحديث أن الرعد يكون بسبب اصطكاك السحاب وأن البرق عبارة عن شرارة كهربائية تنتج من اصطكاك السحاب وقد تم فى العصر الحديث صنع ما يعرف بمانعة الصواعق وهى جهاز يقطع اتصال الدائرة الكهربائية التى تحدث من البرق . أقول إن هذا التفسير العلمى لظاهرة الرعد والبرق لا يمنع أن الرعد ملك أو أن البرق ملك .

ومثال ذلك تفسير العلماء المعاصرين لظاهرة الزلازل بأنها شرخ فى القشرة الأرضية وهذا التفسير لا يمنع من أن الزلازل والأعاصير والبراكين والصواعق غضب من الله وإنذار لأهل الأرض.

فقد ثبت أنه حدثت زلزلة فى عهد عمر بن الخطاب فأنذر قومه إن عادت الزلزلة أن يخرج من بين أظهرهم وحثهم على تقوى الله سبحانه وتعالى بل إن ظاهر الكسوف للشمس والخسوف للقمر وإن كان له تفسير علمى عند علماء الفلك بأن الكسوف تقابل الشمس مع الأرض على خط واحد وأن الخسوف هو مرور القمر بمحازاة الأرض وأن الأرض تحجب شيئا من جرم القمر ونوره فإن الرسول ﷺ كان يخاف من تلك الظواهر ويدعو للصلاة جامعة وسنّ للمسلمين صلاة الكسوف والخسوف يدعو فيها دعاء طويلاً حتى تنتهى الظاهرة .

تقسيم المخلوقات

المخلوق كل ما هو غير الله سبحانه وتعالى ، وهو إما أن يكون قائماً بالذات أو قائماً بالغير والقائم بالذات إما أن يكون متحيزاً أو لم يكن ، فإن كان متحيزاً فهو الجسم وإن لم يكن فهو الجوهر الروحانى وهو إما أن يكون متعلقاً بالأجسام تعلق التدبير وهو النفس أو لا يكون وهو إما أن يكون سليماً عن الشهوة والغضب وهو الملك أو لا يكون وهو الجن القائم بالغير .

فإن كان قائماً بالمتحيزات فهو الأعراض الجسمانية وإن كان قائماً بالمفارقات فهو الأعراض الروحانية كالعلم والقدرة والأعراض الجسمانية إما أن يلزم من صدقها حصول صدق النسبة أو صدق قبول النسبة أو لا هذا ولا ذاك فإن كان الأول فالنسبة إما حصول فى المكان وهو الأين أو فى الزمان وهو الشئ أو نسبة متكررة وهو الإضافة أو تأثير لشئ فى الشئ.

وهو الفعل أو تأثير الشئ عن الشئ وهو الإنفعال ، وكون الشئ محيطاً بالشئ يجب أن ينتقل المحيط بانتقال المحاط به وهو الملك ، أو هيئة حاصلة بمجموع الجسم بسبب حصول النسب بين أجزاء بعضها إلى بعض وبين أجزائه والأمور الخارجية وهو الوضع .

وإن كان يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فهو إما أن يكون بحيث لا يحصل بين أجزائه حدود مشتركة وهو العدد أو يحصل وهو المقدار، وإن كان لا يلزم من حصولها صدق قبول النسبة فإما أن يكون

مشروطاً بالحياة أو لم يكن فإن كان فإما أن يتوقف على الشهوة والنفرة وهو التحريك أو لا يتوقف وهو الإدرك.

ثم الإدراك إما إدراك الكليات وهو العلوم والظنون والجهالات أو إدراك الجزئيات وهو الحواس الخمس وإن لم يكن مشرطاً بالحياة فهو الأعراض المحسوسة بالحواس الخمس أما المحسوسات بالقوة الباصرة فكالأضواء والألوان ، وأما المحسوسات بالقوة الشامة فكالطيب والنتن وأما المحسوسات بالقوة السامعة فالأصوات والحروف.

وأما المحسوسات بالقوة اللامسة فكالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقل والخفة والصلابة واللين والخشونة والملامسة فهذه جملة أقسام الممكنات.

خلق السموات والأرض

ذكر أهل السير أنه وجد فى السفر الأول من التوراة : إن الله تعالى خلق جواهر ثم نظر إليها نظر الهيبة فذاب الجوهر وصعد منه دخان ورسب منه رسوب، فخلق سبحانه من الدخان السموات ومن الرسوب الأرض ويدل على ذلك .

قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠)﴾[الأنبياء]

وأحكم جلت قدرته خلق المجموع فى ستة أيام . قال بعض العلماء إن اليوم فى اللغة الكون الحادث والأيام ها هنا مراتب مصنوعاته لأن قبل الزمان لا يمكن تجدد لزمان، فمن الأيام الستة يوم لمادة الأرض ويوم لصورتها ويوم لمادة السماء ويوم لصورتها ويوم لمكملاتها من الجبال والكواكب والنفوس وغيرها . وقال أيضاً كل ما فوق الأرض فهو سماء فى طريق اللغة يقولون ما علاك فهو سماؤك وما دونك فلك القمر فهو بالنسبة إلى الأفلاك أرض .

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)﴾[الطلاق] يعنى سبعاً . فالأولى كرة النار والثانية كرة الهواء والثالثة كرة الماء والرابعة كرة الأرض وثلاث طبقات ممتزجات بين الأربعة الأولى من النار والهواء والثانية من الهواء والماء والثالثة من الماء والأرض، ثم دبر بعناية بعد الجماد أمر المعادن الداخلة فى الجماد ثم النبات ثم الحيوان هذا هو القول الكلى فى المخلوقات .

فى معنى الغريب[1]

الغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة ، وذلك إما من تأثير نفوس قوية أو تأثير أمور فلكية أو أجرام عنصرية كل ذلك بقدرة الله تعالى وإرادته (فمن) ذلك معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانشقاق القمر وانفلاق البحر وإنقلاب البحر وانقلاب العصا ثعباناً وكون النار برداً وسلاماً وخروج الناقة من الصخرة الصماء وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ومنها كرامات الأولياء الأبرار.

فإن تأثير نفوسهم يتعدى إلى غير أبدانهم حتى يحدث عنها انفعالات غريبة فى العالم فيشفى المريض باستشفائهم وتسقى الأرض باستسقائهم ، وربما يحدث الخسف والزلزلة والطوفان والصواعق بدعواتهم ويصرف الوباء والموتان باستدعائهم وتبدل لهم نفرة الطيور بالهدوء والوقوع وصولة السباع وشدتها باللين والخضوع.

(ومنها) إخبار الكهنة والكهانة اندرست بمبعث النبى ﷺ وكانوا يأتون الجاهلية بأمور غريبة زعموا أنها كانت بواسطة اختلاط نفوسهم بنفوس الجن

(ومنها) الإصابة بالعين فإن العائن[1] إذا تعجب من شئ كان تعجبه مهلكاً للمتعجب منه بخاصية لنفسه لا يوقف عليها .

---

(١) عجائب المخلوقات للقزوينى .

(٢) العائن : أى الحاسد .

(ومنها) اختصاص بعض النفوس من الفطرة بأمر غريب لا يوجد مثله لغيرها ، كما ذكر أن الهند قوماً إذا اهتموا بشئ اعتزلوا عن الناس وصرفوا همتهم إلى ذلك الشئ فيقع على وفق اهتمامهم .

(ومن) هذا القبيل ما حكى أن السلطان محمود غزا بلاد الهند وكان فيها مدينة كل من قصدها مرض فسأل ذلك فقالوا إن عندهم جمعاً من الهند يصرفون هممهم على ذلك فيقع المرض على وفق اهتمامهم.

فأشار إليه بعض أصحابه بدق الطبول ونفخ البوقات الكثيرة ليشوش هممهم ففعلوا ذلك فزال المرض واستخلصوا المدينة.

(ومن) هذا القبيل ما ذكر أن رجلاً فيلسوفاً فى زمن خوارزم شاه محمد بن تكش جاء من بلاد الهند إلى خراسان فأسلم .

وكان يقال له داناى هند يستخرج طالع كل إنسان أراد حتى جربوه بالطوالع الرصيدية فلم يخط شيئاً وزعم أن ذلك له بواسطة حساب يعرفه فرفع أمره إلى السلطان فقال له هل تقدر على إستخراج غير الطوالع قال نعم قال أخبرنى عما رأيت البارحة فى نومى .

فرجع إلى نفسه وحسب ثم قال رأى السلطان أنه فى سفينة وبيده سيف فقال السلطان لقد أصاب لكنا لا نقنع بهذا القدر لأنى على طرف جيحون[1] كثيرا ما أركب السفينة والسيف لا يفارقنى فربما قال اتفاقاً فامتحنه مرة أخرى فأصاب فقربه من نفسه وكان يستعين به فى أموره .

---

(١) على طرف جيحون : أى على شاطئ نهر جيحون وهو أحد أنهار الهند الشهيرة .

(ومن) ذلك أمور سماوية كظهور الكواكب ذوات الأذناب والتماثيل والشانين وانقضاض شهب يستضئ الجو منها .

(ومنها) سقوط جسم من الجو ثقيل كما ذكر الشيخ الرئيس[١] أنه سقط فى زمانه بأرض جوزجان جسم كقطعة حديد قدر خمسين منا مثل حبات الجاورش المنضمة فأرادوا كسرها فما كان يعمل فيها الحديد البتة[٢].

(ومنها) سقوط ثلج أو برد فى غير أوانه كما حكى عن بعض شيوخ قزوين أنه أتاهم فى زمن الشمس برد عظيم كل واحدة على قدر الجوزة[٣] فأهلك كثيرا من الحيوانات والنبات والمشمش لايدرك بقزوين إلا فى الصيف

(ومنها) سقوط أحجار من الحديد والنحاس فى وسط الصواعق وذلك يوجد ببلاد الترك ، وربما يوجد بأرض جيلان أيضاً .

(وحكى) أبو الحسن على ابن الأثير الجزرى فى تاريخه أنه أنشأت بأفريقية فى سنة إحدى عشر وأربعمائة سحابة شديدة الرعد والبرق فأمطرت حجارة كثيرة وأهلكت كل من أصابته .

(وأغرب) من هذا ما حكاه الجاحظ أنه نشأت سحابة بايدج وهى مدينة بين أصبهان وجوزستان سحابة طحيا تكاد تمس رؤوس الناس وسمعوا منها كهديل الفحل، ثم إنها دفعت بأشد مطر ثم استسلموا للغرق

---

(١) الشيخ الرئيس : هو الفيلسوف المعروف بابن سينا .

(٢) وهذه الأجسام تسمى نيازك وهى أجسام صلبه تدور حول الأرض .

(٣) الجوزة ثمر يؤكل بقدر البرتقالة أو أكبر بقليل .

ثم دفعت بالضفادع والشبابيط العظام السمان والشبوط نوع من السمك فأكلوا وملحوا وادخروا كثيرا.

ومن ذلك أمور أرضية مثل صيرورة اليبس بحراً كأرض اليونان فإنها كانت بلاداً معمورة والآن استولى الماء عليها وصيرورة البحر يبساً كأرض ساوة فإنها كانت بحراً والآن لا يرى فيها أثر البحر.

(ومنها) ما زعموا أنه يصعد من الأرض بخار لا يصيب شيئاً من الحيوان والنبات إلا جعله حجراً صلداً وآثار ذلك ظاهرة من أرض مصر ومثله ثم بأرض قزوين.

(ومنها) وقوع خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها وقد شوهد ذلك فى كثير من النواحى منها مدينة عنجرة بأرض الروم وقية دركزين من أعمال همدان .

(ومنها) زلزلة تبقى شهراً أو أكثر فى بعض النواحى ، وقد شوهد ذلك بأرض نيسابور والرى . وحدثنى أبو القاسم الرافعى أنه شاهد فى هذه الزلزلة سقفاً قد انشق حتى رأى الكواكب من جانبه ثم عاد إلى حاله ولم يظهر عليه أثر الشق .

(ومنها) ظهور معدن ببعض الأصقاع لم يعرف قبل ذلك من الزمان كظهور معدن الذهب عند الإسماعيلية (ومنها) ظهور نبت بأرض لا عهد للناس بوجوده هناك كظهور الترنجبين بأرض ساوة (ومنها) تولد حيوان غريب الشكل لم ير مثله .

كما روى عن الشافعى[1] رضى الله تعالى عنه أنه رأى باليمن إنساناً من وسطه إلى سفله بدن إمرأة ومن وسطه إلى فوق بدنان مفترقان بأربع أياد ورأسين ووجهين وهما يأكلان ويشربان ويختصمان ويصطلحان.

وذكر أن أمرأة بكلوسامان من قرى بلخ ولدت شخصاً له نصف بدن ونصف امرأة ويد واحدة ورجل واحدة على صورة النسناس الذى يوجد فى غياض الشجر باليمن .

ثم حملت مرة أخرى فولدت بدنا له رأسان . وزعم الحكماء أنهم وجدوا ثلاثة معان فى الأمور غريبة وقد وضعوا لكل معنى اسماً (وأحد هذه المعانى) الآثار النفسانية والانفعالات التابعة للتصورات من غير واسطة أمر طبيعى، فاستعمال تلك التصورات فى الخبر معجزة من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكرامة من الأولياء عليهم الرحمة والرضوان .

واستعمالها فى الشر سحر من النفوس البشرية (وثانيهما) أمور غريبة تحدث من قوى سماوى وأجسام عنصرية مخصوصة بهيئات وأشكال أوضاع تسمى الطلسمات (وثالثهما) أمور غريبة تحدث من أجساد أرضية كجذب المغناطيس الحديد وتسمى النيرنجات وهذا هو القول الكلى فى الأمور الغريبة .

---

(١) الإمام لشافعى رضى الله عنه هو : أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف القرشى المطلبى الإمام المعروف صاحب المذهب الشافعى ومن أهم مصنفاته كتاب الأم والمسند وديوان فى الشعر .

ولد سنة ١٥٠ هجرية وتوفى سنة ٢٠٤ هجرية . أنظر صفة الصفوة لابن الجوزى .

فى تقسيم الموجودات

كل موجود سوى الواحد سبحانه مخلوق، وكل ذرة من جوهر وعرض وصفه موصوف فيها غرائب وعجائب يظهر فيها حكم الله تعالى وقدرته ، وإحصاء ذلك غير ممكن لكنا نشير إلى ذلك ونقول إجمالاً ، فنقول: الموجودات منقسمة إلى ما لا نعرف أصلها ولا يمكننا النظر فيها ، فكم من موجود لا نعلمه.

كما قال الله تعالى ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[النحل] وإلى ما نعرف جملها ولا نعرف تفصيلها.

وهى منقسمة إلى ما لا يدرك بالبصر كالعرش والكرسى والملائكة والجن والشياطين وغيرها فمحال النظر فيها ، ولا يمكن أن يقال فيها إلا ما صح بالنصوص والأخبار والآثار. وأما المدركات بالبصر كالسموات والأرض وما بينهما والسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها دورانها.

والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها وحيوانها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها وشهبها وعواصف أرياحها.

فهذه هى أجناس المشاهدات من السموات والأرض وما بينهما، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع ينقسم إلى أصناف وكل صنف ينقسم إلى أقسام ولا نهاية لاستيعاب ذلك .

وانقسامها فى اختلاف صفاتها وهيئاتها ومعانيها الظاهرة والباطنة. وفى جميع مجال البصر فلا تتحرك ذرة فى السموات والأرض إلا وفى تحريكها حكمة أو حكمتان أو عشرة أو ألف وكل ذلك دليل على وحدانيته وكبريائه وعظمته كما قال بعضهم :

ولله فـــى كل تحريكة　　　وتسكينة أبـداً شاهـــــد

وفى كـــل شئ له آية　　　تـدل علـــى أنه واحـد

العلوم والنظر فيها فى أمور

(النظر الأول فى حقيقة الأفلاك وأشكالها وأوضاعها وحركاتها بطريق الإجمال).

ذهب الحكماء إلى أن الفلك جسم كروى مشتمل على الوسط متحرك عليه ليس بخفيف ولا ثقيل ولا بارد ولا حار ولا رطب ولا يابس ولا قا. للخرق ولا للالتئام ، ولهم على ذلك أدلة مذكورة فى الكتب الحكمية.

والأفلاك كرات محيطة بعضها ببعض حتى حصلت من جملتها كرة واحدة يقال لها العالم ، وأدناها إلى العناصر فلك القمر، ثم فلك عطارد، ثم فلك الزهرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشترى ، ثم حل، ثم فلك الثوابت، ثم فلك الأفلاك، وأعلم آن لكل فلك مكاناً لا ينتقل عنه لكنه متحرك فيه بأجرامه لا يقف طرفة عين وسرعة حركاتها أسرع من كل شئ شاهده الإنسان حتى صح فى الهندسة أن الفرس فى حالة الركض الشديد من الوقت الذى رفع يديه إلى أن يضعها يتحرك الفلك الأعظم بثلاثة آلاف فرسخ .

ثم إن من الأفلاك ما يتحرك من المشرق إلى المغرب كالفلك الأعظم ، ومنها ما يتحرك من المغرب إلى المشرق كفلك الثوابت وأفلاك السيارات ، ومنها ما يتحرك بالنسبة إلينا دولابية. ومنها ما يتحرك حمائلية[1]، ومنها ما

---

(١) فكر فى هذه النجوم واختلاف سيرها ففرقة منها لاتديم مراكزها ولا تسير إلا سيراً ضعيفاً مجتمعه وفرقة مطلقة تنتقل فى البروج وتفترق فى مسيرها فكل واحد منها يسير بسيرين مختلفين أحدهما عام على الفلك نحو المغرب وآخر خاص لنفسه مع

يتحرك رحوية . ومنهاما يشتمل على الوسط ولكن ليس مركزه مركز العالم كالأفلاك التسعة ومنها ما يشتمل على الوسط لكن ليس مركزه مركز العالم كخارج المراكز .

ومنها ما ليس مشتملاً على الوسط كأفلاك التداوير .

ومن الأفلاك ما لم يعرف له إلا كوكب واحد كأفلاك السيارات ومنها ما لم يعلم عدد كواكبها إلا الله تعالى كفلك الثوابت. ومنها ما ليس له كوكب أصلاً فى العالم بحسب ما عرف من آراء المتقدمين وأصحاب الأرصاد ولا سيما بطليموس فإن اعتماد القوم على رصده خمسة وأربعون

المشرق وقد شبه الاولون هذه المطلقة بنملة تدب على رحا والرحا تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال فإن النملة فى تلك الحالة تتحرك حركتين مختلفين إحداهما بنفسها متوجهة أمامها والأخرى مستكرهة مع الرحى تجتذبها إلى خلفها فليسأل الزاعمون أن النجوم صارت على ما هى عليه بالإهمال ومن غير عمد ما معها أن تكون كلها راتبه أو تكون كلها متنقلة فإن الاهمال واحد فكيف صار بحركتين مختلفتين على تقدير ووزن فهذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وليس بإهمال كما تزعم المعطلة فإن قلت ولما صار بعض النجوم راتبا وبعضها متنقلا قلنا أنها لو كانت كلها راتبه لبطلت الدلالات التى تكون من تنقل المتنقلة منها ومصيرها فى كل واحد من البروج زماناً محدوداً كما قد يستدل على أشياء مما يحدث فى العالم بتنقل الشمس والقمر والنجوم فى منازلها ولو كانت متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يقاس عليه لأنه إنما يقاس مسير المتنقلة بتنقلها فى البروج الراتبة كما يقاس سير سائر على الأرض بالمنازل التى يجتاز عليها وجملة القول أنها لو كانت بحالة واحدة لأختل نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقائل أن يقول أن كينونتها على حال واحدة يوجب عليها الاهمال من الجهة التى وصفنا ففى اختلاف مسيرها وتصرفها وما فى ذلك من الإرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها . انظر الدلائل والاعتبار (١١)

حركة الفلك الأعظم وحركة لفلك الثوابت، وثمان عشرة حركة لأفلاك الكواكب العلوية لكل واحد منها ست حركات، وحركتان لفلك شمس ، وست حركات لفلك الزهرة وتسع حركات لفلك عطارد، وست حركات لفلك القمر، وحركتان لما دون فلك القمر وهما حركة الثقل والخفة ، وهذا ما بلغ إليه فهم العقلاء وذهن الأذكياء ، والله هو الموفق .

(النظر الثانى) فى نظرية القمر وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العام السطح لأعلى منهما لمقعر فلك عطارد، والأدنى لمحدب كرة النار ويتم دورته فى كل ثمانية وعشرين يوماً بحركته التى تختص به من المغرب إلى المشرق[1] وفلك تدويره يدور فى الفلك الحاوى فى كل أربعة عشر يوماً مرة .

ففى الدورة الأولى يكون القمر بوجهه الممتلئ إلى مركز الأرض . ثم إن فلكه الكلى ينقسم إلى أربعة أفلاك ثلاثة منها شاملة للأرض وواحدة صغير غير شامل أما الشاملة فالأول منها يسمى فلك الجوزهر وهو الذى يماس السطح الأعلى منه السطح الأدنى من فلك عطارد، والثانى منها يماس السطح الأعلى منه مقعر فلك الجوزهر والثالث منها فلك خارج المركز فى الفلك المائل من مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جنب من

---

(١) فأما مسير القمر ففيه دلالة واضحة جليلة تستعمله العامة فى معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوى فى الأزمنة الأربعة ونشوء الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسينها وصار الشهر من شهور القمر يتنقل فيكون مرة فى الشتاء ومرة فى الصيف قال تعالى ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج﴾ سورة البقرة آية (١٨٩) .

الفلك الكلى بحيث يماس مقعر سطحية السطح الأدنى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما .

ويسمى الأوج ويماس مقعر سطحيه السطح الأدنى من الفلك الكلى على نقطة مشتركة بينهما ويسمى الحضيض فيحصل سطحان مختلفا الثخن أحدهما حاو للفلك الخارج والآخر محوى فيه ورقة الحاوى مما يلى الأوج وغلظه مما يلى الحضيض ورقة المحوى وغلظه بالعكس .

يقال لكل واحد منهما المتمم أما الفلك الصغير فهو فى ثخن الفلك الخارج المركز يقال له فلك التدوير والقمر مركوز فيه يتحرك بحركته وحركة هذا الفلك حركة مختصة به مغايرة لحركة الفلك الكلى.

وزعموا أن ثخن (سُمك) فلك القمر وهو بعد ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى مائة ألف وثمانية عشر ألفاً وستة وستون ميلاً ، وبطليموس قد ذكر ثخن الأفلاك ومقادير أجرام الكواكب ودوائرها وأقطارها[1]، ولا تستصعبن ذلك فإنه لا يصعب إلا على من لا دراية له بعلم الهندسة . وأما من حل الثانية من إقليدس عليه ذلك إن كان فطناً .

(١) فكر أيضاً فى إنارة القمر والكواكب فى ظلمة الليل والأرب فى ذلك فإنه مع الحاجة إلى لظلمة ولهدوء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح فى أن يكون في الليل ظلمة داجية ولا ضياء فيها فلا يمكن فيه شئ من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل لضيق الوقت عليهم فى بعض الأعمال أو لشدة الحر وإفراطه بالنهار فيعمل فى ضوء أعمال شتى كحرث الأرض وضرب اللبن وقطع الحطب وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر بالليل معونة للناس على هذه الأعمال إذا احتاجوا إلى ذلك وجعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض وفى تصريف القمر خاصة فى مهله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة خالقها المصرف لها هذا التصريف لصلاح العالم . انظر الدلائل والاعتبار (٩)

القمـر

وأما القمر فهو كوكب مكانه الطبيعى الفلك الأسفل من شأنه أن يقبل النور من الشمس على أشكال مختلفة ولونه الدانى إلى السواد يبقى فى كل برج ليلتين وثلث ليلة ويقطع جميع الفلك فى شهر، وهو أصغر الكواكب فلكاً وأسرعها سيراً ،

وزعموا أن جرم القمر جزء من تسعة وثلاثين جزءاً أو ربع جزء من جرم الأرض ، ودورة القمر أربعمائة واثنان وخمسون ميلاً بالتقريب هذا ما وصل إليه آراء الحكماء بحكم المقدمات الحسابية .

فى زيادة ضوئه ونقصانه(١)

القمر جرم كثيف مظلم قابل لضياء لا القليل منه على ما يرى فى ظاهره، فالوجه الذى يواجه الشمس مضئ أبداً فإذا كان قريباً من الشمس كان الوجه المظلم مواجهاً للأرض ، وإذا بعد عن الشمس إلى المشرق ومال النصف المظلم من الجانب الذى يلى المغرب إلى الأرض تظهر من النصف المضئ قطعة هى الهلال .

ثم يتزايد الإنحراف وتزداد بتزايده القطعة من النصف المضئ حتى إذا كان فى مقابلة الشمس ينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس كان النصف المواجه للشمس هو النصف المواجه لنا فنراه بدراً .

---

(١) عجائب المخلوقات للقزوينى بتحقيق الاستاذين سعد كريم الفقى وكرم السعيد الأزهرى.

ثم يقرب من الشمس فينقص الضياء من الجانب الذى بدأ بالضياء على الترتيب الأول حتى إذا صار فى مقابلة الشمس ينمحق نوره ويعود إلى الموضع الأول وينزل كل ليلة منزلاً من المنازل الثمانية والعشرين ثم يستتر ليلة.

فإن كان الشهر تسعة وعشرين استتر ليلة ثمانية وعشرين ، وإن كان ثلاثين استتر ليلة تسعة وعشرين ويقطع فى استتاره منزلاً ثم يتجاوز الشمس فيرى هلالاً، وذلك قوله :

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) ﴾[يس]

يريد أنه ينزل كل ليلة منزلاً منها حتى يصير كأصل العذق إذا قدم ورقه واستقوس .

فى خسوفه

وسببه توسط الأرض بينه وبين الشمس فإذا كان القمر فى إحدى نقطتى الرأس والذنب أو قريباً منه عند الإستقبال تتوسط الأرض بينه وبين الشمس فيقع فى ظل الأرض ويبقى على سواده الأصلى فيرى منخسفاً. والشمس أعظم من الأرض فيكون ظل الشمس مخروطاً قاعدته دائرة صفحة الأرض، لأن الخطوط الشعاعية التى تخرج من الشمس إلى جرم الأرض لا تكون متوازية

فإذا اتصلت بمحيط الأرض ونفذت فى الجهة الأخرى تلاقيا عن نقطة فيحصل ل الأرض على شكل المخروط ، فإذا لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج عند الاستقبال وقع كله فى جرم المخروط فيخسف كله حينئذ.

وإن كان له عرض يخسف بعضه ، وربما يماس جرم القمر مخروط الظل ولا يقع فيه شئ وذلك إذا كان عرض القمر مساوياً لنصف مجموع القطرين أعنى قطر القمر وقطر الظل وإذا كان أقل من نصف القطرين يخسف بعضه .

خواص القمر وتأثيراته العجيبة

زعموا أن تأثيراته بواسطة الرطوبة كما أن تأثيرات الشمس بواسطة الحرارة ويدل عليها اعتبار أهل التجارب ومنها أمر البحار ، فإن القمر إذا صار فى أفق من آفاق البحر أخذ ماؤه فى المد مقبلاً مع القمر ، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وسط سماء ذلك الموضع فإذا صار هناك انتهى المد منتهاه فإذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ولا يزال كذلك راجعاً إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه ، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد مرة ثانية إلا أنه أضعف من الأولى ، ثم لا يزال كذلك إلى أن يصير القمر فى وتد الأرض فحينئذ ينتهى المد منتهاه فى المرة الثانية فى ذلك الموضع . ثم يبتدئ بالجزر والرجوع ولا يزال كذلك حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فيعود المد إلى ما كان عليه أولاً فيكون فى كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فيهما فى ذلك البحر مدان وجزران .

(ومنها) أمر أبدان الحيوانات فإنها فى وقت زيادة القمر وضوئه تكون أقوى والسخونة والرطوبة والنمو عليها أغلب وتكون الأخلاط فى بدن الإنسان ظاهرة والعروق تكون ممتلئة وبعد الامتلاء تكون الأبدان أضعف والبرد عليها أغلب والنمو أقل والأخلاط فى غور البدن ، والعروق أقل امتلاء وذلك أمر ظاهر عند علماء الطب.

(ومنها) أن الأطباء ذهبوا إلى أن أحوال البحر أنات وتقارب أيامها مبنية على زيادة ضوء القمر ونقصانه، وكتب الطب ناطقة بذلك ، وزعموا أن الذين يمرضون فى أول الشهر أبدانهم وقواهم على دفع المرض أقوى ، والذين يمرضون فى آخر الشهر بالضد.

(ومنها) أن شعور الحيوانات يسرع نباتها ما دام القمر زائد النور ويغلظ ويكبر، وإذا كان ناقص النور أبطأ نباته ولم يغلظ.

(ومنها) أن الحيوانات تكثر ألبانها من ابتداء زيادة نور القمر إلى الأمتلاء وتزداد أدمغتها ، وبياض البيض المنعقد فى أول الشهر أكثر، وإذا نقص نور القمر نقصت غزارة الألبان ومادة الأدمغة وكثرة بياض البيض .

(ومنها) أن الإنسان إذا أكثر القعود أو النوم فى ضوء القمر تولد فى بدنه الكسل والأسترخاء ويهيج عليه الزكام والصداع ، وإذا كانت لحوم الحيوانات بادية لضوء القمر تغيرت رائحتها وطعمها .

(ومنها) أن السمك يوجد فى البحار والأنهار من أول الشهر إلى الامتلاء أكثر مما يوجد من الامتلاء إلى آخر الشهر ويكون أيضاً فى النصف الأول من الشهر أسمن منه فى النصف الأخير .

(ومنها) أن حشرات الأرض خروجها من أجحرتها فى النصف الأول من الشهر أكثر من خروجها منه فى النصف الزخير، وكل حيوان يلسع أو يعض فإنه فى النصف الأول من الشهر أقوى منه فى النصف الأخير، وكل حيوان يلسع أو يعض فإنه فى النصف الأول من الشهر أقوى منه فى النصف الأخير وسمه أشد تاثيراً .

(ومنها) أن السباع فى النصف الأول أشد طلباً للصيد منها فى النصف الأخير .

(ومنها) أن الأشجار إذا غرست والقمر زائد النور كان جيداً ، وإن وقع القمر ناقص النور أو زائلاً من وسط السماء لم يسرع النبات وأبطأت فى الحمل وربما يبست.

(ومنها) أن الفواكه والرياحين والزرع والبقول والأعشاب زيادتها من وقت زيادة القمر الى الامتلاء أكثر من زيادتها ونموها من الامتلاء إلى المحاق.

وهذا أمر ظاهر عند أرباب الفلاحة حتى عند عامتهم فضلا عن علمائهم، فإنهم يجدون تأثير ذلك ولا سيما فى البقول والخوخ والبطيخ والسمسم والقثاء والخيار والقرع من أول الشهر إلى نصفه يزيد اكثر مما يزيد من نصف الشهر إلى آخره .

(ومنها) أن الفواكه إذا وقع عليها ضوء القمر أعطاها لوناً عجيباً من حمرة أو صفرة، فالتى يقع عليها الضوء فى النصف الأول من الشهر أحسن لوناً مما يقع عليها فى النصف الأخير .

(ومنها) أن نبات القصب والكتان إذا وقع عليها ضوء القمر فى النصف الأول أشد تقطعاً مما وقع عليها آخر الشهر .

(ومنها) أن المعادن التى تتكون يكون جوهرها وصفاؤها أشد إذا كان تولدها من أول الشهر ولو كان فى آخره لا يكون كذلك .

فى المجرة

وهو البياض الذى يرى فى السماء يقال لها شرج السماء إلى زماننا هذا لم يسمع فى حقيقتها قول شاف[1]. زعموا أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض، والعرب تسميها أم النجوم لاجتماع النجوم وفيها زعموا أن النجوم تقاربت من المجرة فطمس بعضها بعضاً فصارت كأنها سحاب.

وهى ترى فى الشتاء أول الليل فى ناحية من السماء وفى الصيف كأنها سحاب ، وهى ترى فى الشتاء أول الليل فى ناحية من السماء وفى الصيف أول الليل فى وسط السماء ممتداً من الشمال إلى الجنوب.

وبالنسبة إلينا تدور دوراً رحوياً فتراها نصف الليل من المشرق إلى المغرب ، وفى الليل من الجنوب إلى الشمال فما كان منها شمالياً يكون جنوبياً ، وما كان جنوبياً يكون شمالياً ، والله أعلم بحقيقتها ، وتكون على فلك يختص بها يدور بالنسبة إلينا رحوياً أو على شئ من الأفلاك المذكورة .

---

(١) لقد توصل علماء الفلك فى عصرنا الحاضر إلى حقيقه هذه المجرات وذلك بواسطة الأقمار الصناعية والتلكسوب الفلكى ووضح لهم أن الكون مكون من ملايين المجرات وكل مجرة مكونه من ملايين المجموعات الشمسية .

فى فلك عطارد

وهو يحده سطحان كرويان متوازيان مركزهما مركز العالم السطح الأعلى منهما مماس لمقعر فلك الزهرة والأدنى لمحدب ، وينفصل عنه فلك خارج لمركز بمنزلة الفلك الخارج المركز للقمر فى داخل ثخن الفلك الكلى ويقال له المدير، وينفصل عن فلك المدير فلك آخر خارج المركز يقال له خارج المركز الثانى والكوكب فى فلك التدوير .

ويلزم أن يكون لعطارد وجهان أحدهما فى الفلك الكلى والثانى فى المدير، ويكون له أيضاً حضيضان. وزعموا أن ثخن فلك عطارد وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى وسطحه الأدنى ثلثمائة ألف وثمنمائة وثمانون ألفاً واثنان وثمانون ميلاً، على رأى بطليموس صاحب الرصد، فإنه استخرج ذلك بالبراهين الهندسية ، والله أعلم .

وأما عطارد فسماه المنجمون[١] منافقاً لكونه مع السعد سعداً ومع النحس نحساً على زعمهم ،وجرمه جزء من اثنين وعشرين جزءاً من جرم الأرض ودورة جرمه مائتان وستة وثمانون فرسخاً ، وقطر جرمه مائتان وثلاثة وسبعون ميلاً ويبقى فى كل برج سبعة وعشرين يوماً تقريباً وهو كثير الرجعة والاستقامة يدور حول الشمس .

---

(١) مما لا شك فيه أن عمل المنجمين من الأعمال التى حرمها الإسلام لانها تندرج تحت السحر وهو من عمل الجاهليه التى حرمها الاسلام وقد ورد عن رسول الله ﷺ بسند صحيح قوله " من ذهب إلى عراف أو كاهن ولم يصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوماً وإذا صدقه فقد كفر بما أنزل على محمد " .

فلك الزهرة

وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما مماس لفلك الشمس والأدنى لفلك عطارد، وتتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى سنة واحدة مثل فلك الشمس ،

غير أن فلك تدويره يسرع تارة فتصير الزهرة قدام الشمس ويبطئ أخرى فتصير الزهرة خلف الشمس، وثخن جرم فلك الزهرة وهو مسافة ما بين سطحه الأعلى والأدنى ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وتسعون ميلاً ، وصورته مشابهة لصورة فلك القمر سواء وفلك الشمس على تقدير أن يكون جرم الشمس فلك التدوير من غير فرق .

وأما الزهرة فسماها المنجمون السعد الأصغر لأنها فى السعادة دون المشترى، وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو، وجرم الزهرة جزء من أربعة وثلاثين جزءاً وثلث جزء من جرم الزرض، وقطر جرمها أربعمائة وتسعة وأربعون ميلاً وسدس ميل ، تبقى فى كل برج سبعة وعشرين يوماً.

وأما خواصها فزعموا أن النظر إليها مما يوجب فرحاً وسروراً ، وإذا كان بالناظر إليها حرارات السل تخفف عنه وزعموا أن من شأنها الشبق والباه والألفة ، حتى لو نكح رجل إمرأة والزهرة حسنة الحال وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب منه .

فلك الشمس

وهو يحده سطحان كرويان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما مماس لمقعر فلك المريخ ، والأدنى منها مماس لمحدب فلك الزهرة ، ودورته من المشرق إلى المغرب تتم فى ثلثمائة وستين يوماً وربع يوم وينفصل عنه فلك شامل للأرض مركزه خارج المركز كما ذكره فى أفلاك الكواكب الثلاثة من غير فرق إلا أن الشمس ها هنا بمنزلة فلك التدوير إذا ليس للشمس فلك التدوير .

وذلك من لطف الله تعالى وعنايته بالعباد ، لأنه لو كان فلك التدوير لسائر الكواكب السيارة رجعت وبرجعتها يتمادى الصيف ستة أشهر وكذلك الشتاء فيؤدى إلى هلاك الحيوان والنبات .

لأن الشمس إذا بقيت مسامتة لرؤس قوم ستة أشهر لتغير مزاج حيوانهم واحترق نباتهم ، وإن بعدت عن قوم ستة أشهر استولى البرد على مزاجهم وانطفأت حرراتهم وفسد نباتهم ، وثخن جرم فلك الشمس ثلثمائة ألف وخمسة وخمسون ألفاً وأربعة وسبعون ميلاً .

والشمس أعظم الكواكب جرماً وأشدها ضوءاً ومكانها الطبيعى الكرة الرابعة [1] ، وهى بين الكواكب كالملك وسائر الكواكب مالأعون والجنود ،

---

(١) فكر فى تنقل الشمس فى هذه البروج لإقامة دور السنة وما فى ذلك من التدبير فهذا الدور هو الذى يضم الأزمنة الأربعة من الشتاء والربيع والصيف والخرف ويستوفيها على التمام لأنه فى هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهى إلى غايتها من النضج والصلاح ثم يعود فيستانف النشوء والنمو فما أحسن ما قال الأولون (الزمان مقدار الحركة) ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة وأجزائها يكال الزمان وتوزن الأوقات من لدن خلق الله العالم إلى كل وقت

فالقمر كالوزير وولى العهد، وعطارد كالكاتب، والمريخ كصاحب الجيش، والمشترى كالقاضى وزحل كصاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجوارى ، والأفلاك كالأقليم، والبروج كالبلدان، والحدود والوجوه كالمدن ، والدرجات كالقرى والدقائق كالمحال والثوانى كالمنازل وهذا تشبيه جيد.

ومن لطف الله تعالى جعلها فى وسط الكواكب السبعة لتبقى الطبائع والمطبوعات فى هذا العالم بحركاتها على حدها الاعتدال ، إذا لو كانت فى فلك الثوابت لفسدت الطبائع من شدة البرد ، ولو انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية ، وخلقها سائرة غير واقفة وإلا لاشتدت السخونة فى موضع والبرودة فى موضع ولا يخفى فسادهما بل تطلع كل يوم من المشرق ، ولا تزال تمشى موضعاً بعد موضع إلى أن تنتهى إلى المغرب فلن يبقى موضع مكشوف مواز لها إلا ويأخذ موضع شعاعها ، وتميل كل سنة مرة إلى الجنوب ومرة إلى الشمال لتعم فائدتها . أما جرمها فضعف جرم الأرض مائة وستاً وستين مرة ، وقطر جرمها أحد وأربعون ألف وتسعمائة وثمانية وسبعون ميلاً .

وعصر وبها يحسب الناس الزعمار والأوقات المؤقتة لديون والايجار والمعاملات وغير ذلك من أمورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة ...

وتأمل شروق الشمس على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبزغ فى موضع من السماء فتقف فيه لا تعدو لما وصل شعاعها إلى كثير من الجبال لأن الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فصارت بتدبير الله تطلع أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهى إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها فى أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسط من الإرب فيها .

انظر الدلائل والاعتبار (٨) .

فى كسوفها

وشبه كون المقر حائلاً بين الشمس وبين أبصارنا لأن جرم القمر كمد فيحجب ما وراءه عن الأبصار ، فإذا قارن الشمس وكان فى إحدى نقطتى الرأس والذنب أو قريباً منه فإنه يمر تحت الشمس فيصير حائلاً بينها وبين الإبصار لأن الخطوط الموهومة الشعاعية التى تخرج من أبصارنا متصلة بالبصر على هيئة مخروط رأسه نقطة البصر وقاعدته المبصر ، فإذا حال بيننا وبين الشمس يتحصل مخروط الشعاع أولاً بالقمر ، فإن لم يكن للقمر عرض عن فلك البروج وقع جرم القمر فى وسط المخروط عن الشمس بمقدار ما يوجب العرض فينكسف بعضها وذلك إذا كان العرض أقل من مجموع نصف القطرين ، فإذا كان يماس جرم القطر مخروط الشعاع لا تنكسف الشمس ، ثم الشمس إذا انكسفت لا يكون لكسوفها مكث ، لأن قاعدة مخروط الشعاع إذا انطبق على صفحة القمر انحرف عنه فى الحال فتبتدئ الشمس بالإنجلاء ولكن يختلف قدر الكسوفات باختلاف أوضاع المساكن بسبب اختلاف المنظر وقد لا تنكسف فى بعض البلاد أصلاً .

فى خواص الشمس
وعجيب تأثيرها فى العلويات والسفليات

(أما) فى العلويات فإخفاؤها جميع الكواكب لكمال شعاعها وإعطاؤها للقمر النور بسبب قربه منها وبعده عنها ، وجميع ما ذكرنا من فوائد القمر فائدة إذا أشرقت على الماء صعدت منه أبخرة بسبب السخونة، فإذا بلغ البخار إلى الهواء البارد تكاثف من البرد وانعقد سحاباً ثم ذهب به الرياح إلى الأماكن البعيدة عن البخار فينزل مطراً يحيى الله به الأرض بعد موتها، وتظهر منه الأنهار والعيون فيصير سبباً لبقاء الحيوان وخروج النبات وتكون بالمعادن وقد قال عز وجل :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) ﴾[الأعراف]

(ومنها) أمر المعادن فإن العصارات التى تنحلب فى باطن الأرض فى مياه الأمطار إذا اختلطت بالأجزاء الأرضية تصحبها الشمس فتتولد منها الأجساد المعدنية بحسب موادها كالذهب والفضة وسائر الفلزات وكالياقوت والزبرجد وسائر الأحجار النفيسة وكالزئبق والكبريت والزرنيخ والملح والنوشادر، ولا يخفى عموم فوائد هذه الأشياء كلها .

(ومنها) أمر النبات فإن الزروع والأشجار لا تنبت إلا فى المواضع التى تطلع عليها الشمس وكذلك؛ لا ينبت تحت النخل والأشجار العظيمة

التى لها ظلال واسعة شئ من الزروع لأنها تمنع شعاع الشمس عما تحتها وحسبك ما ترى من تأثير الشمس بسبب الحركة اليومية فى الإرتفاع والصعود فإذا زالت الشمس أخذت فى الذبول حتى إذا غابت ذبلت وضعفت ثم عادت فى اليوم التالى إلى حالها .

(ومنها) تأثيرها فى الحيوان فإنا نرى الحيوان إذا طلع نور الصبح خلق الله تعالى فى أبدانها قوة فتظهر فيها قوة حركة وزيادة نشاط وانتعاش وكلما كان طلوع نور الشمس أكثر إلى أن تصل إلى وسط أسمائهم أخذت حركاتهم وقواهم فى الضعف ولا تزال تزداد ضعفاً إلى زمان غيروبتها .

فإذا غابت الشمس رجعت الحيوانات إلى أماكنها ولزمتها كالموتى فإذا طلعت الشمس عليهم فى اليوم الثانى عادوا إلى الحالة الأولى، ومن عجيب تأثيرها فى الحيوانات أن تجعل أهل البلاد القريبة عن مسامتها

المريخ

والمنجمون يسمون المريخ النحس الأصغر لأنه دون زحل فى النحوسة وأضافوا إليه البطش والقتل والقهر والغلبة وجرم المريخ مثل جرم الأرض مرة ونصف مرة بالتقريب وثخن جرمه تسعمائة ألف وثمانمائة وخمسة وثمانون ميلاً ويبقى فى كل برج إذا كان مستقيماً أربعين يوماً .

فلك المشترى

وهو يحده سطحان متوازيان الأعلى منهما مماس لفلك زحل والأدنى مماس لفلك المريخ مركزهما مركز العالم ، ويتم دورته المختصة به من المغرب إلى المشرق فى إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً وصورته كصورة فلك المريخ والزهرة.

وثخن جرمه وهو المسافة التى بين سطحه الأعلى وسطحه الأسفل عشرون ألف ألف وثلثمائة واثنان وثلاثون ألفاً واثنان وثلاثون ميلاً بالتقريب.

وأما المشترى فسماه المنجمون السعد الأكبر لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادة العظيمة وجرم المشترى مثل جرم الأرض أربعة وثمانون مرة وثلث وربع وقطر جرم المشترى كقطر جرم الأرض أربع مرات وربعاً وسدساً يقطع فى كل يوم خمس دقائق .

فلك زحل

وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم الأعلى منهما مماس لفلك الكواكب الثابتة والأدنى منها مماس لفلك المشترى وتتم دورته

المختصة به من المغرب إلى المشرق فى تسع وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة أيام ، قال بطليموس : ثخن جرم فلك زحل أحد وعشرون ألف ألف ميل وستمائة وستة وثلاثون ألفاً وستة أميال .

وسماه المنجمون النحس الأكبر لأنه فى النحوسة فوق المريخ وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم وجرم زحل كجرم الأرض إحدى وثمانين مرة وقطره كقطر جرم الأرض أربعين مرة وثلثى مرة وزعموا أن النظر إليه يفيد غماً وحزناً كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحاً وسروراً .

فلك الثوابت

وهو يحده سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم فالأعلى منهما مماس للفلك الأعظم المحيط بجميع الأفلاك المحرك لكلها والأدنى منها مماس لفلك زحل ، وهذا الفلك أيضاً يتحرك من المغرب إلى المشرق حركة بطيئة فيقطع فى كل مائة سنة جزءاً من الأجزاء التى بها تكون الدائرة ثلثمائة وستين جزءاً .

ودورته تتم فى سنة وثلاثين ألف سنة وقطباها قطبا دائرة البروج التى ترسمها الشمس.

وقد وجد فى رصد بطليموس وأرصاد من كان قبله أن جميع الكواكب الثابتة مركوزة في جرم هذا الفلك ولذلك لا تختلف أوضاعها وكلها تتحرك بحركة فلكها البطيئة على محيط دائرته غير مفارقة لها وكثيرة مختلفة الأقدار مثبتة فى جميع جرم هذا الفلك .

قال بطليموس ثخن فلك الثوابت وهو المسافة التى بين سطحه الأدنى

أربعة وثلاثون ألفاً وسبعمائة وأربعة وأربعون ميلاً بالتقريب ، وهذا المقدار هو قطر الكواكب الثابتة التى هى فى العظم الأول وجرم الكواكب الذى هو فى العظم الأول مثل جرم الأرض أربعة وسبعين مرة وخمس وجرم أصغر الكواكب الثابتة وهو الذى يكون فى العظم السادس مثل جرم الأرض ثمانية عشر مرة وقطر فلك الكواكب الثابتة وهو محدد فلك البروج مائة وأحد وخمسون ألف ألف ميل وخمسمائة وسبعة وثلاثون ألفاً ومائة وأربعة وثمانون ميلاً .

ولعل البعض يستبعد معرفة مقادير هذه الأجرام ويخطر له أن الذى على سطح الأرض كيف يدرى ثخن الفلك ؛ وأجرام كواكبه فالأولى بتركه الاستبعاد ، فإن الأمر لايعرفه غيره ومن مارس علم الهندسة لا يتعذر عليه براهين هذه الأمور فإن لكل عمل رجالاً فسبحان من أبدع هذه الأجسام الرفيعة وزينها بهذه الأجسام المنيرة وخص كل واحد منها بما شاء من المقدار وأعطى الإنسان آلة يدرك بها هذه الأمور الغامضة فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾[الإسراء]

الكواكب الثابتة

أعلم أن عددها مما يقصر ذهن الإنسان عن ضبطه لكن الأولين قد ضبطوا منها ألفاً واثنين وعشرين كوكباً ثم وجدوا من هذا المجموع تسعمائة وسبعة عشر كوكباً تنتظم منها ثمانية وأربعون صورة كل صورة منها تشتمل على كوكبها .

وهى الصور التى أثبتها بطليموس فى كتاب المجسطى بعضها فى النصف الشمالى من الكرة وبعضها على منطقة فلك البروج التى هى طريقة السيارات وبعضها فى النصف الجنوبى فسمى كل صورة باسم الشئ المشبه بها فوجد بعضها على صورة الإنسان كالجوزاء وبعضها على صورة الحيوانات البحرية كالسرطان وبعضها على صورة البرية كالحمل وبعضها صورة الطير كالعقاب وبعضها خارجاً عن شبه الحيوانات كالميزان والسنبلة.

ووجدوا من هذه صورة حيوان وبعضه الاخر من صورة حيوان أخر كالرامى ومنها ما لم تتم صورته حتى جعل من صورة أخرى كوكب مشترك منهما مثل ممسك الأعنة ، فإن صورته لم تتم حتى جعل الكوكب النير الذى على طرف القرن الشمالى من الثور مشتركاً بينمها فصار على قرن الثور وعلى رجل ممسك الأعنة وإنما ألغوا هذه الصورة وسموها بهذه الأسماء ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه وقد ذكروا موقعه من الصورة وموضعه من فلك البروج وبعده فى الشمال أو الجنوب عن الدائرة التى تمر بأوساط لمعرفة أوقات الليل والطالع فى كل وقت .

(وأما) الكواكب الأخرى وهى مائة وثمانية عشر كوكباً فإنها لم ينتظم منها شئ من الصور فأضافوا كل ما وجدوه منها قريباً من صورة إلى تلك الصورة وسموها خارج الصورة مثل النير الذى فوق رأس الحمل الذى تسميه العرب الناطح .

وأما عدد الصور ومواقعها من الفلك فهى ثمان وأربعون صورة منها فى النصف الشمالى من الكرة إحدى وعشرون صورة ومنها على البروج

أثنتا عشرة صورة[1] ومنها فى النصف الجنوبى من الكرة خمسة عشر صورة فلنذكر الآن كوكبة كل صورة على الانفراد وعدد كواكبها وأسمائها وألقابها على مذهب المنجمين ليستدل بأحدهما على الأخر ويعمل صورها المسماة باسمها المشبه ويرسم كل كوكبة على مواقعها من الصورة ليكون مشاكلاً لما يرى فى السماء والتى هى خارجة عن الصورة ليستدل الإنسان بأخذ ارتفاعها على الأوقات بها على قدرة الله تعالى صانعها جلت قدرته وتقدست أسماؤه له الحمد كثيراً .

(١) على العاقل من بنى البشر أن يفكر لم صار هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن إلا لما فى اختلاف النهار والليل وهذه لأزمان الزربعة من السنة على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذى بينا آنفا وهل يخفى على ذى لب أن هذا تقدير مقدر لصواب وخكمة من مقدر حكيم .

فإن قلت أن هذا شئ أتفق أن يكون هكذا فما يمنعك أن تقول هذا فى دولاب تراه يدور لسقى حديقة فيها شجر ونبات فترى كل شئ من آلته مقداراً بعضها تلقاء بعض على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبماذا كنت تثبت هذا القول لو قلته وما ترى الناس كانوا قائلين لك لو سمعوه منك سوى تسفيه رأيك وتضليل عقلك .

أفتذنكر أن تقول هذا فى دولاب خسيس مصنوع بحيلة تصيره لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلا صانع ومقدر وتقدم على أن تقول هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرضى وما عليها أنه شئ اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير ولو اعتل هذا الفلك كما تعتل هذه الآلات التى تتحد لرفع الماء وغيرها ما كان عند الناس من الحيلة من صلاحه ولو تخلفت عنهم مقدار عام أو بعض عام كيف تكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء أفلا ترى كيف كفى الناس هذه الأمور الجليلة التي لم يكن لهم فيها عندهم حيلة فصارت تجرى على مجاريها لا تعتل منافعها ومصالحها ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه .

أنظر الدلائل والاعتبار للجاحظ (١٢)

الصور الشمالية

وهى إحدى وعشرون صورة وعدد كواكبها من نفس الصورة ثلثمائة وأحد وثلاثون كوكباً والتى حوالى الصورة ليست من نفسها تسعة وعشرون كوكباً فجمع الكواكب التى فى هذا النصف من الكرة ثلثمائة وستون كوكباً وهذه أسماؤها .

كوكبة الدب الأصغر

هى أقرب كوكبة إلى القطب الشمالى وكواكبها من نفس الصورة سبعة والخارج عن الصورة خمسة والعرب تسمى هذه السبعة بنات نعش الصغرى فالأربعة التى على المربع نعش والثلاثة التى على الذنب بنات وتسمى النيرين من الأربعة الفرقدين والنير الذى على طرف الذنب اللجدى وهو الذى يتوخى به القلة وجميع الكواكب الداخلة فى الصورة والخارجة عنها تشبه بحلقة سمكة وتسمى الفأس لشبهها بفأس الرحا الذى يكون القطب فى وسطه وقطب معدل النهار عنده بأقرب شئ إلى كوكب الجدى .

كوكبة الدب الأكبر

كواكبه تسعة وعشرون كوكباً من الصورة وثمانية حوالى الصورة والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع المستطيل والثلاثة التى على ذنبه بنات نعش الكبرى فالأربعة التى على المربع المستطيل نعش والثلاثة التى على الذنب بنات .

وتسمى الذى على طرف الذنب القائد والذى على وسطه العناق ، والذى يلى النعش وهو الذى على ذنب الجوزاء وفوق العناق كوكب صغير

ملاصق له تسميه العرب السها وهو الذى يمتحن الناس به أبصارهم زعموا أن من نظر إليه وقال أعوذ برب السهية من كل عقرب وحية أمن ليلته[١] .

وتسمى الستة التى على الأقدام الثلاثة على كل قدم منها اثنان قفزات الظباء كل أثنين منها قفزة والقفزة الأولى وهى التى على الرجل اليمنى تتبعها الصرفة وهى الكوكب النير على ذنب الأسد والكواكب المجتمعة التى فوق الصرفة تسميها العرب الهقعة .

تقول العرب : ضرب الأسد بذنبه الأرض فقفزت الظباء والكواكب السبعة التى على عنقه وصدره وعلى الركبتين كأنها نصف دائرة تسمى سرير بنات نعش وتسمى الحوض أيضاً .

والكواكب التى على الحاجب والعينين والأذن والخطم تسمى الظباء ، تقول العرب إن الظباء لما قفزت من الأسد وردت الحوض . وأما الثمانية التى حول الصورة اثنان منها ما بين الهقعة والقائد وأحدهما أنور من الآخر تسميه العرب كبد الأسد والستة الباقية تحت القفزة الثالثة التى على اليد اليسرى ثلاثة منها أنور هى ظباء والبواقى خفية أولاد الظباء .

---

(١) لاشك أن هذا الدعاء من أدعية العرب الجاهلين قبل الإسلام أما بعد الإسلام فقد علمنا رسول الله ﷺ كثير من الأدعية التى يحفظ الله بها عبده منها (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) والمعوذتين وسورة الإخلاص وغيرها . أنظر الأذكار للإمام النووى . وعمل اليوم والليلة لابن السنى .

خواص القطب الشمالى

ظاهر حوله بنات نعش الصغرى وكواكب خفية إذا جمعتها صارت فى صورة سمكة والقطب فى وسيط هذه السمكة والسمكة تدور حول القطب زعموا أن لهذا القطب فوائد : (منها) أن النظر إليه وإلى الدب الأصغر يشفى من الرمد وجرب العين .

وذلك أن يقوم صاحب الحرب أو الرمد ليلة الأحد إذا ظهرت النجوم بعد ساعتين من غيبوبة الشمس حيال القطب الشمالى والدب الأصغر فينظر إليه ثم يأخذ ميلاً من فضة يغمسه فى الماورد الخالص ويكحل به العين وإن كان المريض إحداهما فعل ذلك من ليلة الأحد فى كل ليلة وكلما كان أكثر كان أجود فإن الرمد والجرب يذهبان بإذن الله تعالى إلا أن الرمد أسرع .

(ومنها) ما زعموا أن الأسد والببر والنمر والدب إذا قامت حيال هذا القطب وأطالت النظر إليه شفيت.

(ومنها) أن اللبوة [١] إذا حملت فإنه ينالها عناء فربما بقيت تلك الليلة لا تأكل شيئاً ثم تأتى إلى نهر فيه ماء حار أو عين ينبع منها بماء فتقوم فى الماء إلى نصف ساقها وتنظر إلى القطب الشمالى فإنها تبرأ من الوصب[٢]

---

(١) اللبوة : أنثى الأسد .

(٢) الوصب : أى الوجع والمرض أو التعب والضور .

انظر لسان العرب مادة (وصب) .

كوكبة التنين

التنين كواكبه أحد وثلاثون كوكباً فى الصورة وليس حواليها شئ من الكواكب المرصودة والعرب تسمى الكوكب اللسان الرابض والأربعة التى على الرأس العوائذ وفى وسط العوائذ كوكب صغير جداً تسميه العرب الربع وهو ولد الناقة .

وتسمى النيرين اللذين على مؤخرة الذئبين والاثنين اللذين هما فى غاية الخفاء قبل الذئبين أظفار الذئب وقد وقعت العوائذ بين الذئبين وبين النسر الواقع منعطفين على الربع فشبهت العرب النيرين بذئبين قد طمعا فى استلاب الربع وشبهت العوائذ بأربع أينق [1] قد عفن على الربع وفى أصل الذنب كوكب يسمى بالذبخ وهو ذكر الضباع .

كوكبة قيقاوس

كواكبة أحد عشر كوكباً فى الصورة وعشرة خارج الصورة وهى من كوكبة ذات الكرسى وبين كواكب الجدى وهو النير الذى على ذنب الدجاجة الذى يسمى الردف، والعرب تسمى الكواكب الذى على صدره النثرة والذى على منكبه الأيمن الفرقد والدائرة التى تحصل من كواكب ذراعه ومما هو خارج.

وهو من كواكب الدجاجة من جناحها الأيمن تسمى القدر والذى على الرجل اليسرى الراعى وبين رجليه كوكب يسمى كلب الراعى وبين رجلية وبين يدى الجدى كواكب صغار تسميها العرب الأغنام .

(١) أينق : أنثى الجمل مفردها ناقة .

كوكبة العواء

كواكبها اثنان وعشرون كوكباً فى الصورة وواحدة خارجها وهو صورة رجل بيده اليمنى عصا فيما بين كواكب الفكة وبنات نعش الكبرى وتسمى العرب الكواكب الذى على الرأس والذى على المنكبين عصا الضباع والذى على يده اليسرى وعلى الساعد من هذه اليد وما حول اليد من الكواكب بالخفية أولاد الضباع.

والخارج عن الصورة كوكب احمر نير بين فخذيه يسمى السماك الرامح والسماك يسمى مفرداً حارس السماء وحارس الشمال لأنه يرى أبداً فى السماء لا يغيب تحت شعاع الشمس والكواكب الذى على الساق اليسرى تسمى الرامح .

كوكبة الفكة

كواكبها ثمانية يقال لها بالفارسية كاسة دورشان وهى على استدارة خلف عصا الضباع وفى استدارتها ثلمة لأجل ثلمتها يقال لها قصعة المساكين ومن كواكبها كوكب يقال له النير من الفكة .

كوكب الجاثى

ويقال هى الراقص له صورة رجل قد مد يده وجثا على ركبتيه إحدى رجليه على طرف عصا العوار وهى اليمنى والأخرى عند الأربعة بالتى على رأس التنين التى تسمى العوائذ وكواكبه ثمانية عشرون كوكباً فى الصورة خلاف الكوكب المشترك بينه وبين العواء وواحد خارج الصورة .

كوكبة السلياق

كواكبه عشرة والنير منها يسمى النثر الواقع ، شبهته العرب بنسر قد ضم جناحيه الى نفسه كأنه واقع على شئ والعامة تسميه الأثافيوقدام النير كوكب خفى تسميه العرب الأظفار .

كوكبة الدجاجة

كواكبها سبعة عشر كوكباً فى الصورة واثنان خارج الصورة والعرب تسمى لأربعة المصطفة الفوارس وقد قطعت المجرة عرضاً والنير ذى على الذئب الردف لأنه يتلو الأربعة ، وجعله بعضهم الذى على الصدر فى الوسط واثنان عن يمينه واثنان عن يساره والردف خلفه .

كوكبة ذات الكرسى

هى صورة إمرأة قاعدة على كرسى له قائمتان كقائمة المنبر وعليه مسند وقد أدلت رجليها وهى فى نفس المجرة فوق الكوكب الذى على رأس قيقاوس وكواكبها ثلاثة عشرة كوكباً والعرب تسمى النير من هذه الكواكب الكف المخضب وهي كف الثريا اليمنى المبسوطة ، فشبهت العرب تلك الكواكب بيد مبسوطة والكواكب النيرة منها بأنامل مخضوبة .

كوكبة سياوس

وهو حامل رأس الغول ، وهو صورة رجل قائم على رجله اليسرى وقد رفع رجله اليمنى ويده اليمنى فوق رأسه وبيده اليسرى رأس غول وكواكبها ستة وعشرون كوكباً فى الصورة وثلاثة خارجة عن الصورة .

كوكبة ممسك الأعنة

هى صورة رجل قائم خلف رأس الغول بين الثريا وبين كوكبة الدب الأكبر وكواكبه أربعة عشر كوكباً وفى وسط الصورة كواكب تسميها العرب على المرفق الأيسر العنز والاثنين اللذين على المعصم الأيسر الجديين ويسمى العيوق معها العناق ويسمى أيضا رقيب الثريا ويسمى الذى على المنكب الأيمن والاثنان اللذان على الكعبين توابع العيوق .

كوكبة الحور والحية

أما الحور فصورة رجل قائم قد قبض بيديه على حية وكواكبه أربعة وعشرون فى الصورة وخمسة خارجها ، وأما الحية فكواكبها ثمانية عشر وعلى عنقها كوكب يسمى عنق الحية وتسمى الكواكب المصطفة على رأس الحية نسقاً شامياً والمصطفة تحت عنقه نسقاً يمانياً ، ويسمى ما بين النسقين الروضة والكواكب التى بين النسقين فى الروضة الأغنام الذى على رأس الحور يسمى الراعى والذى على رأس الجاثى كلب الراعى .

كوكبة السهم

هى خمسة كواكب بين منقار الدجاجة وبين النسر الطائر فى نفس بالمجرة العظيمة نصلة إلى ناحية المشرق والفوق إلى ناحية المغرب وطول السهم فى رأى العين إذا كان فى كبد السماء نحو ذراعين .

كوكبة العقاب

كواكبه تسعة فى الصورة وستة خارجها وفى الصورة ثلاثة مشهورة

تسمى النسر الطائر وبإزالة النسر الواقع والعامة تسمى الثلاثة المشهورة من خارج الصورة الميزان لاستواء كواكبه والاثنين اللذين فوقها الظليمين.

كوكبة الدلفين

كوكبه عشرة مجتمعة تتبع النسر الطائر والنير الذى على ذنبه يسمى ذنب الدلفين والعرب تسمى الأربعة التى فى وسط العنق الصليب والذى عمود الصلب .

كوكبة قطعة الفرس

كواكبها أربعة تتبع الدلفين اثنان منها متضايقان بينهما شبر واثنان بينهما ذراع والأول فى موضع الفم والآخرون على الرأس .

كوكبة الفرس الأعظم

كواكبه عشرون وهى على صورة فرس له رأس ويدان وبدن إلى آخر الظهر وليس له كفل ولا رجلان والأول من كواكبه على السرة وهو على رأس المرأة المسلسلة مشترك بينهما ويسمى سرة الفرس وآخر على متنه يسمى متن الفرس وكوكب على منكبه الأيمن يسمى منكب الفرس وآخر عند منشأة العنق يسمى عنق الفرس وأخر على جحفلته خلف الأربعة التى على قطعة الفرس يسمى فم الفرس.

والعرب تسمى الأربعة النيرة التى على المربع أحدهما عند منتهى العنق متن الفرس ومنكب الفرس وجناح الفرس والكوكب المشترك الدلو وتسمى الاثنين المتقدمين عليها العرقوة والاثنين اللذين فى البدن النعائم

والكرب أيضاً شبهته العرب بمجموع العرقوتين فى الوسط فى رأس الدلو حيث يشد فيه الحبل وذلك الموضع من الدلو يسمى الكرب وتسمى الاثنين اللذين على الرأس سعد البهائم والاثنين اللذين على العنق سعد الهمام والاثنين المتقاربين اللذين فى الصدر سعد البارع والاثنين اللذين على الركبة اليمنى سعد المطر .

كوكبة الفرس التام

هو أحد وثلاثون كوكباً وهو فرس آخر أحسن شبهاً بالفرس من الأول وبعض الفرس الأول داخل فيه ومن السطر الذى من الكوكب على وجهه ورأسه تولدت صورة الرأس وتمر على عرفه على تقويس فيفصل بكوكب على متنه وهو من كواكب الفرس الأعظم الذى على طرف اليد اليسرى الفرس الأعظم ثم على كوكبين أحدهما فى وسط ذنبه والآخر على طرف الذنب ويخرج من الجحفلة سطر يمر على الغلصمة والنحر وبه تتم صورة العنق والصدر .

كوكبة المثلث

كواكبه أربعة بين الشطرين وبين النير الذى على الرجل اليسرى من صورة المرأة وهو على شكل مثلث فيه طول أحدها على رأس المثلث ويسمى هذا الاسم وثلاثة على قاعدتها .

البروج الأثنى عشر

قال تعالى والسماء ذات البروج هذه صورة قريبة من الدائرة التى

تمر على أوساط البروج فى المائل عن طريقة الكواكب السيارة وهى التى سميت البروج الاثنا عشر بأسمائها كل اسم باسم الصور التى كانت فيه . فلنذكر كوكبة كل صورة وعدد كواكبها وموقعها من الصورة وألقاب بعضها على رأى المنجمين والعرب ، ولنبدأ بالصورة التى فى الوجه الأول منها :

كوكبة صورة الحمل

كواكبه ثلاثة عشر فى الصورة وخمس خارجها مقدمة إلى جهة المغرب ومؤخرة إلى المشرق ووجهه على ظهره والنيران اللذان على القرن يسميان الشرطين والنير الخارج عن الصورة يسمى النطح واللذان على الألية مع الذى على الفخذ وهو على مثلث متساوى الأضلاع تسمى البطين، والعرب جعلت بطن الحمل منزلاً للقمر كبطن السمكة وسمته البطين .

كوكبة الثور

صورته صورة ثور مؤخره إلى المغرب ومقدمه إلى المشرق وليس له كفل ولا رجلان تلفت رأسه إلى جنبه وقرناه إلى ناحية المشرق وكواكبه اليمنى من ممسك الأعنة مشترك بينهما والخارج عن الصورة أحد عشر كوكباً وعلى موضع القطع منه أربعة مصطفة والنير الأحمر العظيم الذى على عينه الجنوبية يسمى الدبران وعين الثور أيضاً وتالى النجم وحادى النجم والفنيق .

والعرب تسمى الكواكب التى على كاهل الثور الثريا وهما كوكبان نيران فى خلالهما ثلاث كواكب صارت مجتمعة متقاربة كعنقود العنب

ولذلك جعلوها بمنزلة كوكب واحد وسموا النجم ، وزعموا أن فى ذلك المطر عند نوئها الثروة وتسمى الاثنين المتقاربين على الأذنين الكلبين ويزعمون أنهما كلبا الدبران والعرب تتشاءم بالدبران وتقول أشأم من حادى النجم ويزعمون أنهم لا يمطرون بنوء الدبران إلا وسنتهم مجدبة .

كوكبة التوأمين

كواكبها ثمانية عشر فى الصورة وسبعة خارجها وهى صورة إنسانين رأسهما فى الشمال الشرقى وأرجلهما إلى الجنوب والمغرب وقد اختلطت كواكب أحدهما بكواكب الآخر والعرب تسمى لاثنين النيرين اللذين على رأسهما الذراع المبسوطة واللذين علي ثدى التوأم الثانى الهقعة واللذين على قدم التوأم المتقدم وقدام قدمه البخاتى .

كوكبة السرطان

كواكبه تسعة من الصورة وأربعة خارجها والعرب تسمى الكواكب النيرة منها النثرة ، وفى المجسطى ذكر النثرة باسم المعلف واسم الكوكبين التاليين للنثرة الحمارين والكوكب النير الذى على الرجل المؤخرة الجنوبى الطرف .

كوكبة الأسد

كواكبه سبعة وعشرون فى الصورة وثمانية خارجها والعرب تسمى الكوكب الذى على وجهه مع الخارج عن الصورة سرطان الطرف وتسمى الأربعة التى فى الرقبة والقلب الجبهة وتسمى التى على البطن وعلى الحرقفة الزبرة والذى على مؤخر الذنب قلب الأسد وتسميه أيضاً الصرفة لانصراف

البرد عند سقوطه بالمغرب بالغدوات وانصراف الحر عند طلوعه من تحت شعاع الشمس بالغدوات .

كوكبة العذراء

وهى ستة وعشرون فى الصورة وستة خارجها وهى صورة امرأة رأسها على جنوب الصرفة وقدماها الزبانان اللذان على كفتى الميزان والعرب تسمى التى على طرف منكبها الأيمن العواء وهو المنزل الثالث عشر من منازل القمر وزعم بعضهم أن الكواكب التى على بطنها وتحت إبطها كأنها كلاب تعوى خلف الأسد وتسمى عواء البرد أيضاً، لأنها إذا طلعت أو سقطت جاءت ببرد والكوكب النير الذى بقرب يدها التى فيها السلسلة السماك الأعزل سمى أعزل لأنه بإزائه السماك الرامح ويسمى أعزل لأنه لا سلاح معه والمنجمون يقولون لهذا الكوكب السنبلة ويسمى أيضاً ساق الأسد والذى على قدمه اليسرى الغفر وإنما سمى بالغفر لنقصان ضوء كواكبه كأنه سترها .

كوكبة الميزان

ثمانية كواكب فى الصورة بين كوكبة العذراء وكوكبة العقرب وتسعة خارجها وليس فيها شئ من الكواكب المشهورة .

كوكبة العقرب

أحد وعشرون كوكباً من الصورة وثلاثة خارجها وهى صورة مشهورة والعرب تسمى الثلاثة التى على الجبهة الإكليل وتسمى النير الأحمر الذى على البدن قلب العرب وتسمى الذى قدام القلب والذى خلفه

النياط وتسمى الذى فى الخزوات الفقرات وتسمى الاثنين اللذين على طرف الذنب الشولة .

كوكبة الرامى

وهو القوس أحد وثلاثون كوكباً فى الصورة وليس حواليه شئ من الكواكب المرصودة والعرب تسمى الأول الذى على النصل والذى على مقبض القوس والذى على الطرف الجنوبى من القوس والذى على طرف اليد اليمنى من الدابة النعام الواردة .

لأن المجرة شبهت بنهر والنعام قد وردت النهر وتسمى الذى على المنكب الأيسر فوق السهم والذى على الكتف الأيسر والذى تحت الإبط وهو بعيد عن المجرة إلى ناحية المشرق النعام الصادرة شبهتها بنعام شرب الماء وصدر عن النهر.

وتسمى اللذين على الستة الشمالية من القوس الظليمين وللذين على الفخذ اليسرى والساق الصردين [١] .

كوكبة الجدى

كواكبه ثمانية وعشرون كوكباً فى الصورة وليس حوالى الصورة شئ من الكواكب المرصودة والعرب تسمى الاثنين اللذين على القرن الثانى سعد الذابح سمى ذابحاً للصغير الملاصق له ، قيل الصغير شأنه الذى يذبحه وتسمى الاثنين النيرين اللذين على الذنب المحبين .

(١) الصرد : طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات وربما صاد العصفور وكانوا يتشاءمون به . أنظر لسان العرب مادة (صرد) .

كوكبة ساكب الماء وهو الدلو

كواكبه اثنان وأربعون كوكباً فى الصورة وثلاثة خارجها ، والعرب تسمى اللذين على منكبه الأيمن سعد الملك واللذين على منكبه الأيسر مع الذى على ذنب الجدى سعد السعود والثلاثة التى على يد اليسرى سعد بلع.

وإنما سميت بهذا الاسم لأن البعد بين هذين الاثنين أوسع من البعد بين الذابح فشبهتها بفم مفتوح ليبلع وتسمى الذى على ساعده مع الثلاثة التى على يده اليمنى سعد الأخبية .

وإنما سمى بذلك لأنه إذا طلع اختبأت الهوام تحت الأرض من البرد وتسمى النيرالذى على فم الحوت الجنوبى الضفدع الأول .

كوكبة السمكة وهو الحوت

وكواكبها أربعة وثلاثون فى الصورة وأربعة خارجة وهما سمكتان أحدهما السمكة المتقدمة وهى التى على ظهر لفرس الأعظم فى الجنوب والأخرى على جنوب كوكبة المرأة المسلسلة وبينهما خيط من كواكب يصل بينهمات على تعريج .

الصورة الجنوبية

هى الكواكب التى فى النصف الجنوبى من الكرة وهى خمسة عشر صورة ومواضع صورها وأسمائها على مذهب العرب والمنجمين على ما رسمنا فيما تقدم .

كوكبة قيطس

هى صورة حيوان بحرى مقدمه فى ناحية المشرق على جنوب كوكبة الحمل ومؤخره فى ناحية المغرب خلف الثلاثة الخارجة عن صورة ساكب الماء وكواكبه اثنان وعشرون والعرب تسمى الكواكب التى فى الرأس الكف الجذماء لأن امتداده دون امتداد الكف الخضيب وتسمى الخمسة التى على يديه النعامات والكواكب التى على أصل الذنب تسمى النظام والتى على الشعبة الجنوبية من الذنب تسمى الضفدع الثانى والأول مذكور فى الدلو .

كوكبة الجبار

كواكبه ثمانية وثلاثون كوكباً فى الصورة وهو صورة رجل قائم فى ناحية الجنوب على طريقة الشمس بيده عصا وعلى وسطه سيف والعرب تسمى الكواكب الثلاثة التى على الوجه الهنعة والنير الأعظم الذى على منكبه اليمنى منكب الجوزاء ويد الجوزاء أيضاً والكوكب النير الذى على المنكب اليسرى الناجذ والمرزم أيضاً والثلاثة المصطفة التى على وسطه منطقة الجوزاء والثلاثة المنحدرة المتقاربة سيف الجبار والنير الأعظم الذى على قدمه اليسرى رجل الجبار وتسمى التسعة المقوسة التى على الكم تاج الجوزاء .

كوكبة النهر

كواكبه أربعة وثلاثون فى الصورة وليس حواليه شئ من الكواكب المرصودة يبتدئ من عند النير الذى على قدم الجوزاء فيمر فى المغرب على تعريج إلى قرب الأربعة التى على صور قيطس ثم يمر فى الجنوب على ثلاثة كواكب .

ثم ينعطف إلى المشرق فيمر على ثلاثة كواكب أيضاً ثم ينعطف إلى الجنوب فيمر على ثلاثة كواكب مجتمعة ثم ينقطع فيمر فى الجنوب على كوكبين متقاربين ثم ينعطف إلى المغرب فيمر على كوكبين متقاربين أيضاً ثم على ثلاثة كواكب متقاربة ثم ينتهى إلى كوكب نير على آخر النهر.

والعرب تسمى الأول والثانى والثالث من كوكبة الكرسى الجوزاء وتسمى الأربعة التى فى وسط النهر من الخمسة التى فى جانبه الآخر أدحى النعام وهو عشه والتى حوالى هؤلاء الكواكب تسمى البيض والنير الذى على آخر النهر يسمى الظليم وبين هذا الظليم والظليم الذى على فم الحوت كواكب كثيرة تسمى الرئال وهى فراخ النعام .

كوكبة الأرنب

هى اثنتا عشر كوكباً فى الصورة وليس حوليه شئ من الكواكب المرصودة وهى تحت رجل الجبار وجهه إلى المغرب ومؤخره إلى المشرق والعرب تسمى الأربعة التى اثنان منها على يديه واثنان على رجليه كرسى الجوزاء وعرش الجوزاء أيضاً .

كوكبة الكلب الأحمر

عشر فى الصورة وأحد عشر خارجها وهى صورة كلب خلف كوكبة الجوزاء ولذلك سمى كلباً ، والعرب تسمى النير الأعظم الذى على موضع الفم الشعرى العبور، وكان قوم فى الجاهلية يعبدونه لأنه يقطع السماء عرضاً دون غيره من الكواكب وذلك قوله تعالى

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النجم]

وسمى عبوراً لأنه عبر المجرة إلى سهيل وتسمى اليمانية لأن مغيبها فى شق اليمن وتسمى بالأربعة التى منها على كتفه وعلى ذنبه ما بينهما وعلى فخذه العذارى والأربعة المصطفة التى على الاستقامة خارج الصورة تسمى القرود والنيران من خارج الصورة حضار لوزن ومن العرب من يسميها مختلفين لأنهما يطلعان قبل سهيل فيظن أحدهما سهيلاً فيخلف عليه والآخر يعلم أنه غير سهيل فيخلف له .

كوكبة الكلب المتقدم

وهما كوكبان بين النيرين اللذين على رأس التوأمين وبين النيرين الذى على فم الكلب الأكبر يتأخر عنهما إلى المشرق وأحدهما أنور وتسميه العرب الشعرى الشامية لأنها تغيب فى شق الشام وتسميه الشعرى الغميصاء لأنه عندهم أحب سهيلاً وقد عبرت اليمانية المجرة إلى ناحية سهيل وبقيت هذه فى الشمال الشرقية فبكت على سهيل وغمضت عيناها وتسمى الاثنين أيضاً ذراع الأسد المقبوض وسميت مقبوضة لتأخرها عن الذراع الآخر وما النيران اللذان على رأس التوأمين .

كوكبة السفينة

كواكبها خمسة وأربعون من الصورة وليس حواليها شى من الكواكب المرصودة . وذكر بطليموس أن النير العظيم الذى على المجداف الجنوبى هو سهيل وهو أبعد كوكب عن السفينة فى الجنوب يرسم على الاسطرلاب.

(١) والشعرى نجم معروف كانوا يعبدونه فى الجاهلية .

وأما العرب فالروايات عنها فى سهيل وفى كواكب السفينة مختلفة الرأى بعضهم أن النير الذى على طرف المجداف الثانى يسمى سهيلاً على الإطلاق .

فوائد القطب الجنوبى

أما القطب الجنوبى فإنه فى مقابلة القطب الشمالى وإنه خارج عن كواكب السفينة بقرب نير المجداف وتدور حوله كواكبه أسفل من سهيل . وزعموا أن لهذا القطب فوائد (منها) أن كل حيوان أنثى إذا تعسرت ولادتها تنظر إلى القطب وإلى سهيل تضع فى الحال.

(ومنها) أن من انقطعت عنه شهوة الباه[1] من غير شرب دواء يداوم النظر إلى القطب الجنوبى فى ليال متوالية ترجع إليه شهوته.

(ومنها) أن صاحب الثآليل[2] إذا أخذ بعدد كل ثؤلول ورقة من شجرة الغرب ويومئ إلى سهيل وإلى القطب ويقول هذا لقلع الثآليل حتى يقول اثنين وأربعين مرة إما فى ليلة واحدة أو فى ليال ثم يدق الورق فى هاون اسفيدوز على الثآليل فإنها تجف وتنفرك .

وزعموا أنها من الخواص العجيبة المجربة (ومنها) أن صاحب الماليخوليا[3] إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل مرة بعد أخرى أو فى أخرى أو فى ليلة مرت يزول عنه ذلك وزعموا أنهم حربوه فوجدوه صحيحاً .

---

(١) الباءه : أى الزواج أو الجماع .

(٢) الثآليل : هى مرض فى صورة حبوب مستديرة مشققة فى حجم أو دونها تظهر على الجلد مفردها (ثؤلول) .

(٣) الماليخوليا : مرض القوة العقلية وهو شبيه بالجنون العقلى .

(ومنها) أن النظر إلى هذا القطب وسهيل يحدث للإنسان طرباً وسروراً ولهذا صنف من الزنج مخصوصون بمزيـ من الطرب لأنهم متقاربون من مدار القطب وسهيل.

(ومنها) أن صاحب الظفرة فى العين إذا أدام النظر إلى القطب وسهيل تزول ظفرته وذلك بأن يديم النظر إلى القطب وسهيل ويحدق النظر إليهما ويكون النظر متوالياً أوله ليلة الثلاثاء ولا يقطعه الى أن تزول الظفرة فإنها تذهب إلى تمام اثنين وأربعين أو تسع وأربعين .

كوكبة الشجاع :

كواكبه خمسة وعشرون كوكباً فى الصورة واثنان خارجها رأسه على زبانى الجنوبى من صورة السرطان وهى بين الشعرى الغميضاء وقلب الأسد يميل عنهما إلى الجنوب ميلاً يسيراً ثم ينعطف إلى كوكب نير على آخر عقدته عند منشأة الظهر فوقه أربع كواكب على شمال النير والعرب تسمى الذى على آخر العنق الفرد لانفراده عن أشباهه وأما سائر كواكب الشجاع فعن العرب فيها روايات كثيرة لا طائل تحتها .

(كوكبة البلطية) :

هى سبع كواكب على شكل كوكبة الشجاع والعرب تسمى هذه الكواكب الملتف .

(كوكبة الغراب) :

هى سبع كواكب خلف البلطية على جنوب السماك الأعزل ، والعرب

تسمى هذه الكواكب عجز الأسد وتسميها أيضاً عرش السماك الأعزل وتسميها أيضاً الأحمال .

(كوكبة قطورش) :

هى سبعة وثلاثون كوكباً وصورته صورة حيوان ومقدمه مقدم إنسان من رأسه إلى آخر ظهره ومؤخره فرس من منشأ ظهره إلى ذنبه وجهه إلى المشرق ومؤخر ذنبه إلى المغرب وبيده شمراخان وقد قبض بيده اليمنى كوكب حضار وعلى يده الأخرى الوزن وهما اللذان يسميان المخلفين كما ذكرنا قبل .

(كوكبة السبع) :

وهى تسعة عشر كوكباً من الصورة خلف كوكبة قيطورش وبعضها مختلط بكوكبة قيطورش وقد قبض قيطورش على يده، والعرب تسمى كوكبة قيطورش والسبع الشماريخ الجملة لكثرتها وكثافة جميعها وليس حولها شئ من الكواكب المرصودة .

(كوكبة المجرة) :

كواكبها سبعة فى الصور ولم يقع عن العرب شئ فى هذه الكواكب .

(كوكبة الإكليل الجنوبى) :

وهى ثلاثة عشر كوكباً فى الصورة قدام الاثنين اللذين على عرقوب الرامى، فمن العرب من يسمى هذه الكوكب القبة لاستدارتها ومنهم من يسميها أدحى النعام وهو عشه لأنها علي جنوب النعامين الصادر والوارد اللذين قد مضى ذكرهما .

(كوكبة الحوت الجنوبى) :

وهى أحد عشر كوكباً فى الصورة على جنوبى حواكب الدالى رأسه إلى المشرق وذنبه إلى المغرب ويسمى النير الذى على فمه فم الحوت ، تمت الكواكب الثابتة وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

منازل القمر

وهى ثمانية وعشرون منزلاً ينزل القمر كل ليلة بواحدة منها من مستهله إلى ثمانية وعشرين ليلة من الشهر ثم يستتر واستسراره محاقه حتى لا يرى منه شئ فإن كان الشهر تسعاً وعشرين استتر ليلة ثمان وعشرين[1] وإن كان ثلاثين استتر ليلة تسع وعشرين وهو فى السرار يقطع منزله .

فهذه المنازل الثمانية والعشرون يبدو منها أبداً أربعة عشر بالليل فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وكلما غاب منها واحد طلع رقيبه، والعرب تسمى أربعة عشر من هذه بالنازل شامية وأربعة عشر يمانية، فأول الشامية الشرطين وآخرهما السماك الأعزل وأول اليمانية الغفر وآخرها الرشا والعرب تسمى سقوط النجم في الغرب وطلوع مقابله مع الفجر نوءاً وسقوط كل نجم منها على ثلاثة عشر يوماً خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً فيكون انقضاء سقوط الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ثم يرجع الزمر إلى الأول فى ابتداء السنة المستقبلة وما كان فى هذه الثلاثة عشر

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾ [يس]

يوماً من مطر أو ريح أو حر أو برد فهو من نتوء النجم الساقط عند الحكماء ولهم أقوال طويلة في أحكام نزول النيرين. فأول هذه المنازل .

(الشرطين) :

يقال لهما قرناً الحمل ويسميان الناطح وبينهما فى رأى العين قاب قوسين، وإذا حلت الشمس بها أعتدل الزمان واستوى الليل والنهار وطلوعها لستة عشر ليلة تخلو من نسيان وسقوطهما لثمان عشر ليلة تخلو من تشرين الأول وحلول الشمس بهما لعشرين ليلة تخلو من آذار وكلما نزلت الشمس الشرطين فقد مضت سنة وإنما سميا شرطين لأنهما علامة دخول أول السنة وفى نوء الشرطين يطيب الرمان وتكثر المياه وتنعقد الثمار ويحصد الشعير ورقيب الشرطين الغفر .

(البطين) :

يقال له بطن الحمل وهى ثلاث كواكب خفية كأنها أثافى وهذه صورتها. وهو بين الشرطين والثرياء وطلوعه لليلة تبقى نيسان وسقوطه لليلة تبقى من تشرين الأول. وعند سقوطه يرتج البحر فلا تجرى فيه جارية ويذهب الحداء والرخم والخطاطيف إلى الغور ويستكن النمل وتقول العرب إذا طلع البطين فقد اقتضى الدين.

وحكى ابن الأعرابى أنهم يقولون ما أوتى البطين ولدبران أو أحدهما وكان لنئه مطر إلا كاد أن يكون ذلك العام جديباً وقالوا إنه أشر الأنواء وأقلها مطراً وفى لنوئه يجف العشب ويتم حصاد الشعير ويأتى أول حصاد الحنطة ورقيب البطين الزبانا .

(الثريا) :

ويقال سله النجم وهو أشهر هذه المنازل وهى ستة أنجم وهى هذه وفى خلالها نجوم كثيرة خفية والعرب تقول إن طلع النجم غدية ابتغى الراعى كسية وطلوعها لثلاث عشرة ليلة تخلو من أيار وسقوطها لثلاث عشرة ليلة تخلو من تشرين الآخر، والثرايا تظهر فى المشرق عند ابتداء البرد.

ثم ترتفع فى كل ليلة حتى تتوسط مع غروب الشمس وفى ذلك الوقت أشد ما يكون البرد ثم تنحدر عن وسط السماء فتكون فى كل ليلة أقرب من أفق المغرب إلى أن بهل الهلال معها ثم مكث يسيراً وتغيب نيفاً وخمسين ليلة وهذا المغيب هو استسرارها .

ثم تبدوا بالغداة من المشرق فى قوة بالحر وقال النبى ﷺ "إذا طلع النجم لم يبق من العاهة شئ" أراد عاهات الثمار لأنها تطلع بها بالحجاز وقد أزهر البسر، وأما نوؤها فمحمود وهو خير نجوم الوسمى لأن مطره فى الوقت الذى فقدت الأرض فيه الماء .

فإذا طلعت الثريا ارتج البحر واختلف الرياح وسلط الله الجن على المياه وقال ﷺ: "من ركب البحر بعد طلوع الثريا فقد برئت منه الذمة" وفى نوء الثريا تتحرك الرياح ويشتد الحر ويدرك التفاح والمشمش ويجف العشب وفى آخره يمتد النيل ويكثر اللبن ورقيب الثريا الإكليل .

(الدبران) :

وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا ويسمى تابع النجم وسمى دبراناً لاستدباره :

ونوؤه غير محمود والعرب تتشاءم به وطلوعه لست وعشرين ليلة من أيار وسقوطه لستة وعشرين ليلة من تشرين الأول قال الساجع إذا طلع الدبران يبست الغدران وفى نوئه يشتد الحر وهو أول البوارح وتهب السمائم[1] وسود العنب ورقيب الدبران القلب .

(الهقعة) :

هى رأس بالجوزاء وهى ثلاثة كواكب صغار تشبه الأثافى وهذه صورتها وإنما سميت هقعة تشبيهاً بعرض الفرس الذى يقال له الهقعة وتطلع لتسع خلون من حزيران وتسقط لتسع خلون من كانون الأول نؤها لا يكادون يذكرونه إلا بنوء الجوزاء والعرب تقول إذا طلعت الهقعة رجع الناس عن النجعة وفى نوئها يدرك البطيخ وسائر الفواكه ويشتد الحر ويكثر هبوب السمائم ورقيب الهقعة الشولة .

(الهنعة) :

هى كوكبان أبيضان بينهما قيد سوط فى المجرة وهذه صورتها ٥٥ يقال لأحد الكوكبين الزر والأخر لنيسان وثلاثة تحيط يهما فمجموعهما خمسة أربعة متتابعة إلى جانب وواحد فى جهة العرض على هيئة الألف

(١) تهب السمائم : أى تشتد رياح السموم وهى ريح حارة تهب غالباً بمصر فى شهر مايو وأكثر ما تكون نهاراً .

الكوفى وطلوع الهنعة لاثنين وعشرين ليلة تخلو من حزيران وسقوطها لاثنين وعشرين ليلة تخلو من كانون الأول ونوؤها من أنواء الجوزاء وتقول العرب إذا طلعت الجوزاء كسب الصبا وفى نوئها انتهاء شدة الحر وإدراك الرطب والتين وتغير المياه ورقيب الهنعة النعائم .

(الذراع):

هو ذراع الأسد المقبوضة وللأسد ذراعان مقبوضة ومبسوطة فالمبسوطة تلى اليمن والمقبوضة تلى الشام وطلوعها لأربع تخلو من تموز وسقوطها لأربع تخلو من كانون الآخر ونوؤها محمود قل ما يخلف وزعمت العرب أنه إذا لم يكن فى السنة مطر لم يخلف الذراع والعرب قد تقول إذا طلع الذراع ترقرق الشراب فى كل قاع وفى نوئها تشتد بوارح الصيف حراً وسموماً وفيه يدرك الرمان ويحمر البسر(١) ويقطع القصب النبطى ورقيب الذراع البلدة .

(النثرة) :

هى ثلاثة كواكب متقاربة وهى أنف الأسد وطلوعها لسبع عشرة ليلة من تموز وتسقط لسبع عشرة ليلة تخلو من كانون الآخر وتقول العرب إذا طلعت النثرة قنأت البسرة أى اشتدت حمرتها وعند سقوط النثرة يجرى الماء فى العود ويصلح تحويل الفسيل وفى نوئها غاية شدة الحر وفيه سموم حارة حتى قيل إن نوئها كل يوم تظهر آفه تفسد شيئاً من الزرع والثمار ورقيب النثرة سعد الذابح .

---

(١) يحمر البسر : أى ينضج البلح . والبسر ما لم يتم نضوجه من البلح .
ويطلق أيضاً على ردئ البلح . وفى المثل (يسراً وسوء كلية) .

(الطرفة) :

هو طرف لأسد ، وهما كوكبان صغيران مثل الفرقدين[1] وطلوعه لليلة تخلو من آب وسقوطه لليلة تخلو من آب وسقوطه لليله تبقى من كانون الثانى وتقول العرب إذا طلعت الطرفة كثرت الطرفة وعند قطاف أهل مصر وفى نوئه بوارح وسموم وفيه يؤكل الرطب ويقطف العنب ورقيب الطرف سعد بلع .

(الجبهة) :

هى جبهة الأسد وهى أربعة كواكب فيها عوج بين كل كوكبين فى رأى العين قيد سوط وهى معترضة من الجنوب إلي الشمال والجنوبى منها يسميه المنجمون قلب الأسد وطلوعها لأربع عشرة ليلة تمضى من آب من مطلع سهيل وسقوطه لاثنى عشرة ليلة تخلو من شباط، عند سقوطها ينكسر حد الشتاء وتوجد الكمأة ويورق الشجر وتهب الرياح اللواقح.

وتقول العرب لولا طلوع الجبهة ما كان للعرب رفعه وتوؤها محمود يقال ما امتلأ واد من نوء الجبهة ماء إلا امتلأ عشباً والزبرة – الصرفة – السماك – المغفرة – الزبانا – الإكليل – القلب – الشولة – النعائم – البلدة – سعد الذابح – سعد السعود – سعد الأخبية – .

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ثابت الموقع تقيباً ولذا يهتدى به وهو المسمى بالنجم القطبى ويقزبه نجم آخر مماثل له وأصغر منه وهما الفرقدان .

خلق البحار والأنهار

قال الله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل] وتميد أى تميل .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر]

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان]

وقال تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرحمن]

فالمراد بالبحرين البحر المالح المر وهو الأجاج، والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين أقطار الأمصار لمصالح العباد قاله ابن جريج وغير واحد من الأئمة .

البداية والنهاية لابن كثير ج١ .

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) ﴾ [الشورى]

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) ﴾ [لقمان]

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) ﴾ [الحج]

فامتن تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار والأنهار بسائر أرجاء الأرض وما ينبت فيه فى جوانبها الجميع مالح الطعم مر، وفى هذه حكمة عظيمة لصحة الهواء، إذ لو كان حلوا لا نتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات فكان يؤدى إلى تفانى بنى آدم.

ولكن أقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة ولهذا سئل رسول الله ﷺ عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحل ميتته . وأما النهر فماؤها حلو عذب فرات سائغ شرابها لمن أراد ذلك. وجعلها جارية سارحة ينبعها فى أرض ويسوقها إلى أخرى رزقا للعباد. ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة .

البحر المسجور

وقد تكلم أصحاب علم الهيئة والتفسير على تعداد البحار والأنهار الكبار ومنابعها وإلى أين ينتهى سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخلاق تعالى، وأنه فاعل بالأختيار ولحكمة -

وقوله تعالى : ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾ [الطور]

فيه قولان أحدهما أن المراد به البحر الذى تحت العرش المذكور فى حديث الأوعال (حملة العرش) وأنه فوق السموات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء ، وهو الذى ينزل منه المطر قبل البعث فتحيا منه الأجساد من قبورها وهذا القول هو أختيار الربيع بن آنس ، والثانى أن البحر اسم جنس يعم البحار التى فى الأرض وهو قول الجمهور .

واختلفوا فى معنى المسجور فقيل المملوء وقيل يصير يوم القيامة نارا تؤجج فيحيط بأهل الموقف، وقيل المراد به الممنوع المكفوف المحروس عن أن يطغى فيغمر الأرض ومن عليها فيغرقوا . رواه الوالبى عن ابن عباس وهو السدى وغيره .

ويؤيده الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا العوام حدثنى شيخ كان مرابطا بالساحل قال : «لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال :" ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يتأذن الله عز وجل أن يتفصح (أى يطغى ويغرق الأرض ومن عليها) عليهم فيكفه الله عز وجل، ورواه إسحاق بن راهويه عن يزيد عن هارون عن العوام بن حوشب : حدثنى شيخ مرابط قال : خرجت ليلة - لمحرس لم يخرج أحد من المحرس غيرى فأتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل إلى أن البحر يشرف

يحاذى برؤوس الجبال فعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ فلقيت أبا صالح فقال حدثنا ثلاث مرات يستأذن الله أن يتفصح عليهم فيكفه الله عز وجل فى إسناده رجل مبهم والله أعلم .

وهذا من نعمة الله تعالى على عباده أن كف شر البحر عن أن يطغى عليهم وسخره لهم يحمل مراكبهم ليبلغوا عليها الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها وهداهم فيه بما خلقه فى السماء والأرض والنجوم والجبال التى جعلها لهم علامات يهتدون بها فى سيرهم وبما خلق لهم فيه من اللآلىء والجواهر النفيسة العزيزة الحسنة الثمينة التى لا توجد إلا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريبة وأحلها لهم حتى ميتتها .

قال تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)﴾ [المائدة]

وقال النبى ﷺ : «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» رواه أحمد وابن ماجة وفى إسناده نظر قال علماء الهيئة : الأرض مغمورة بالماء العظيم إلا مقدار الربع منها والعناية الإلهية اقتضت إنحسار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزرع والثمار منها .

كما قال تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)﴾ [الرحمن]

قالوا المعمور من هذا البادى منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلا . وهو خمس وتسعون درجة .

خلق الأنهار

روى الأمام مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة" .

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن غير ويزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وكأن المراد والله أعلم من هذا أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة فى صفاتها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك الصفات ونحوها كما قال فى الحديث الآخر الذى راواه الترمذى وصححه من طريق سعيد بن عامر بن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : "العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم "أى تشبه ثمر الجنة ، فإن الحس يشهد بخلاف ذلك فتعين أن المراد غيره وكذا قوله ﷺ : "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء فإن الحر من فيح جهنم وهكذا أصل الأنهار منبعها مشاهد من الأرض .

نهر النيل

أما نهر النيل وهو النهر الذى ليس فى أنهار الدنيا له نظير فى خفته ولطافته وبعد مسراه فيما بين مبتدأه إلى منتهاه من الجبال القُمر (أى البيض) ومنهم من يقول جبال القَمَر بالأضافة إلى الكوكب وهى فى غربى الأرض وراء خط الأستواء إلى الجانب الجنوبى .

ويقال أنها حمر ينبع من بينها عيون ثم يجتمع من عشر مسيلات متباعدة ، ثم يجتمع كل خمسة منها فى بحر ، ثم يخرج منها أنهار ستة ثم يجتمع كلها فى بحيرة أخرى .

ثم يخرج منها نهر واحد هو النيل فيمر على بلاد السودان والحبشة ثم على النوبة ومدينتها العظمى ونقلة ثم أسوان ثم يفد على ديار مصر، وقد تحمل إليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها ويجترف من ترابها .

وهى محتاجة إليها معا لأن مطرها قليل وتربتها رمال لا تنبت شيئا حتى يجئ النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون إليه وهى من أحق الأراضى بدخولها فى قوله تعالى :

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ (٢٧)﴾ [السجدة] يجاوز النيل مصر قليلا فيقترن شطرين عن قرية على شاطئه يقال لها شطنوف .

فيمر الغربى على رشيد ويصب فى البحر المالح. وأما الشرقى فيقترن عند جوجر فرقتين تمر الغربية منها على دمياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط وهذا بعد عظيم فيما بين مبتداه ومنتهاه (طول الحوض) .

ولهذا كان ألطف المياه قال ابن سينا له خصوصيات دون سائر الأرض. فمنها إنه أبعدها مسافة من مجراه إلى أقصاه ومنها أنه يجرى على على صخور ورمال ليس فيه خزر ولا طحالب.

ومنها أنه لا يخضر فيه حجر ولا حصاه وما ذاك إلا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته. ومنها إن زيادته فى أيام نقصان سائر الأنهار . ونقصانه فى أيام زيادتها وكثرتها قلت والمعروف أن النيل ينبع من الحبشة .

وقد قال عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤنه من أشهر العجم (القبطية) فقالوا : «أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها فقال لهم وما ذاك قالوا : إذا كان اثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم القيناها فى هذا النيل .

فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون فى الإسلام وإن الإسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة والنيل لا يجربى لا قليلا ولا كثيرا . وفى رواية فأقاموا بونة وأبيب ومسرى وهو لا يجرى حتى هموا بالجلاء .

فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر أنك قد أصبت بالذى فعلت وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى هذا فألقها فى النيل فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر (أما بعد) فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك .

فألقى بها عمرو البطاقة فى النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة (الطريقة) عن أهل مصر إالى اليوم .

الشرح :

مما سبق يتضح لنا فضل الله تعالى ونعمه علينا فى خلق البحار والأنهار ولا سيما نهر النيل الذى يسميه أهل هذا العصر شريان الحياه فى مصر ومن العبارات التى تسرى مسرى المثل أن مصر هبة النيل ثم قال آخرون إن مصر هبة المصريين لأنهم أقاموا السدود والقناطر وشقوا الترع والمصارف وبنوا الجسور على النيل أقول إن الفضل كله لله وأنه تعالى تفضل وأنعم على شعب مصر بل وعلى شعوب أخرى يبلغ عددها تسع شعوب بهذا النهر .

وحديث عمرو بن العاص وبطاقة عمرو بن الخطاب حديث ضعيف لأن ابن لهيعه ضعيف كما أخبر بذلك علماء الجرح والتعديل . وقد كان قاضيا : والحديث الضعيف لا يقطع بصحة نسبته إلى الرسول ﷺ أى أنه مخالف لشروط الصحة المتفق عليها عند علماء الحديث وإذا عرف تعريف الحديث الصحيح عرف تعريف الحديث الضعيف .

تعريف الحديث الصحيح :

هو الحديث الذى رواه الثقات العدول الضابطون عن مثلهم عن مثل إلى رسول الله ﷺ من غير شذوذ ولا علة قادحة .

وقد كان الفراعنة المصريون يقدسون النيل ويتخذونه إلها معبودا

وكانو يحافظون على نظافته وعدم تلوثه وقد جاء فى بردياتهم أن خير ما كان يدافع الميت منهم عن نفسه وقت الحساب أن يقول : انا لم ألوث النهر. وإن كانت قصة عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب مع نهر النيل قد وقعت فعلا فيكون المعنى أن توقف سريان النيل كان فتنة لأهل مصر وأن جريانه بعد القاء بطاقة عمر بن الخطاب فيه يكون كرامة لعمر بن الخطاب ونعمة على أهل مصر لأن فحوى هذه البطاقة يحمل عقيدة التوحيد والثقة المطلقة فى الله سبحانه وتعالى ونسبة القدرة والفضل لله سبحانه وتعالى .

ولى ملاحظتان هامتان وخطيرتان تتعلق بنهر النيل الذى يجرى كما قلنا فى تسع بلاد تعيش شعوبها على مائه وبجوار حوضه .

الملاحظه الأولى :

إنه وبعد أربعة عشر قرنا من بعثة النبى ﷺ يعود المصريون إلى عادة شركية وثنية هى الإحتفال بوفاء النيل بالقاء عروس من الجبس فى النيل وهى بديل عن إلقاء فتاة حية كما كان يفعل الوثنيون القدماء من أهل مصر .. فأهيب بالمصريين شعبا وحكومة أن يبطلوا هذه العادة وهذا الأحتفال والتقليد الوثنى.

الملاحظة الثانية :

إننا الآن نهين نهر النيل ونلوثه ونلقى فيه القاذورات والحيوانات النافقة ومخلفات المصانع ومياه الصرف الصحى فنضر بصحتنا وصحة أبنائنا ولذلك أهيب بالجميع أن يحافظوا على نقاء مياه نهر النيل ويضربوا بيد من حديد على من يلوث مياه النهر ويساهم فى تلوث البيئة . أ . هـ من قولنا .

نهر الفرات

وأما نهر الفرت :

فأصلها من شمالى أرض الروم فتمر إلى قرب ملطية ثم تمر على شميشاط ثم إلى البيرة إلى مالس وقلعة جبر ثم الرقة ثم إلى الرحبة شماليها ثم إلى عانة ثم إلى هبت ثم الكوفة ثم تخرج إلى فضاء العراق ويصب فى بطائح كبار أى بحيرات وترد إليها ويخرج منها أنهار كبار .

نهر سيحان

وأما سيحان : ويقال له سيحون فأوله من بلاد الروم ويجرى من الشمال والغرب إلى الجنوب والشرق وهو غربى مجرى جيحان ودونه فى القدر وهو ببلاد الأرض التى تعرف ببلاد سيس وقد كانت فى أول الدولة الإسلامية فى أيدى المسلمين ، فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام وأعمالها عجزوا عن صونها عن الأعداء فتغلب نقفور الأرمنى على هذه البلاد حول الثلاثمائة ثم يجتمع سيحان وجيان عند إذنه فيصيران نهرا واحدا . ثم يصبان فى بحر الروم بين أياس وطرسوس .

نهر جيحان

أما نهر جيحان : ويقال له جيحون أيضا وتسميه العامة جاهان، وأصله فى بلاد الروم ويسير فى بلاد سيس من الشمال إلى الجنوب وهو يقارب الفرات فى القدر. ثم يجتمع عند إذنه فيصيران نهرا واحدا. ثم يصبان فى البحر عند أياس وطرسوس .

خلق السموات

وما فيها من الآيات

قال تعالى :

﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) ﴾[النازعات]

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) ﴾ [الملك]

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾[الرعد]

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النمل]

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل]

فذكر تعالى ما خلق فى الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات فى البرارى والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته ورحمته بخلقه وما سهل لكل دابة من الرزق الذى هى محتاجة إليه فى ليلها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومسائها.

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام]

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح]

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق]

وقال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) ﴾ [الفرقان]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) ﴾ [الصافات]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) ﴾ [الحجر]

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) ﴾ [الأنبياء]

وقال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾ [يس] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) ﴾ [الأنعام]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤) ﴾ [الأعراف]

فالمقصود إنه تعالى يخبر عن خلق السموات وعظمة وإتساعها إرتفاعها وإنها فى غاية الحسن والبهاء الكمال والسماء .

كما قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) ﴾ [الذاريات] أى الخلق والحسن .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) ﴾ [الملك]

أى خاسئا عن أن يرى فيها نقصا أو خللا وهو حسير أى كليل ضعيف ولو نظر حتى يعى ويكل ويضعف لما أطلع على نقص فيها ولا عيب لأنه تعالى قد أحكم خلقها وزين الكواكب أفقها .

كما قال : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) ﴾ [البروج] أى النجوم .

ومثل محال الحرس التى يرمى منها بالشهب لمسترقى السمع ولا منافاة بين القولين .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) ﴾ [الصافات]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحجر]

قال البخارى فى كتاب بدء الخلق : وقال قتاده :

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [فصلت]

خلق هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به .

ولقد حكى ابن حزم وابن المنير وأبو الفرج ابن الجوزى وغير ذلك من العلماء الإجماع على أن السموات كرة مستديرة . واستدلوا على ذلك بقوله كل فى فلك يسبحون قال الحسن يدورون . وقال ابن عباس فى فلكه مثل فلكه المغزل . قالوا ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق .

فأما الحديث الذى رواه البخارى حيث قال : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفينا عن الأعمش بن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس : تدرى أين تذهب قلت الله أعلم ورسوله أعلم .

قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل فيها وتستأذن فلا يؤذن لها : يقال لها أرجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها .

فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) ﴾ [يس : ٣٨]

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) ﴾ [يونس]

أى فاوت بين الشمس والقمر فى نورهما وفى شكلهما وفى وقتهما وفى سيرهما فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر القمر نور أى أضعف من برهان الشمس وجعله مستفادا من ضوئها وقدره منازل أى يطلع أول ليلة من الشهر صغيرا ضئيلا قليل النور لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها فبقدر مقابلته لها يكون نوره.

ولهذا فى الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان فى الليلة الأولى فيكون نوره بضعف النور أول الليلة . ثم كلما مر أزداد نوره حتى يتكامل إبداره ليلة مقابلته إياها من المشرق وذلك ليلة اربع عشرة من الشهر .

ثم يشرع فى النقص لأقترابه لها من الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيستتر حتى يعود كما بدأ فى أول الشهر الثانى فيه تعرف الشهور وبالشمس تعرف الليالى والأيام وبذلك تعرف السنين ، والقمر يقطع فلكه فى ثلاثين سنة .

وقد كان اليونانيون الذين يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه

السلام بدهور وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبوابا سبعة وجعلوا على رأس كل باب هيكلا على صفة الكواكب السبعة . يعبدون كل واحد فى هيكله ، ويدعونه بدعاء يأثر عنهم غير واحد من أهل التواريخ وغيرهم وذكره صاحب السر المكتوم فى مخاطبة الشمس والقمر والنجوم وغيره من علماء الحرنانيين (فلاسفة حران فى قديم الزمان) .

وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة وهم طائفة من الصابئين لهذا قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) ﴾ [فصلت]

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) ﴾ [الحج] .

والأيات فى ذلك كثيرة .

الفهرس

تابع الفهرس